



فكر وأدب السجون
الإصدار الرابع

البراءة من مآلِك

وَأَنْ مَلْحَانِ

النموذج المفقود

رسالة نور إلى كل عائلة

علي رفيق شواحنة

سجن نضجة

الكتاب: سلسلة فكر وأدب السجون (4)

"البراء بن مالك وآل ملحان، النموذج المفقود"

المؤلف: الأسير المجاهد/ علي رفيق شواهنة

الناشر: مؤسسة مهجة القدس

غزة - فلسطين

الطبعة: الأولى

سنة النشر: ذو القعدة 1433هـ / سبتمبر - أيلول 2012م

الكتب والدراسات التي تصدرها المؤسسة تعبر عن آراء واجتهادات مؤلفيها

حقوق الطبع والنشر محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يُبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

[الفتح: 29]

إهداء..

- ➡ إلى أستاذ البشرية جمعاء الرسول القدوة والإنسان النموذج (ﷺ).
- ➡ إلى صحابة الرسول الذين نصره وحملوا الرسالة، وجاهدوا في الله حق جهاده، حتى أوصلوا لنا الإسلام دون تحريف أو تزيف.
- ➡ إلى الحبيب البطل الشجاع (البراء بن مالك) الأنصاري وأمه وعائلته المجاهدة، التي أحباها الرسول (ﷺ).
- ➡ إلى روح الشهيد المعلم الدكتور (فتحي الشقاقي) والشيخ الجليل (أحمد ياسين) وكل شهداء فلسطين أجمعين.
- ➡ إلى شيخي الفاضل (كمال زهدي شواهنة) "أبو المقداد" الذي غرس في قلبي حب الرسول وصحبه.
- ➡ إلى أمي الصابرة والصادقة، وإخواني الذين غيبي عنهم ظلام السجن سنوات طويلة.
- ➡ إلى إخواني الأسرى الذين ساندوني، وساعدوني، ووقفوا جانبي بالتشجيع والدعم والمؤازرة.
- ➡ إلى من يبحث عن القدوة الحسنة.. إليكم أجمعين.

كلمة شكر..

✍ من لا يشكر الناس لا يشكر الله.

✍ ولهذا أوجه كلمة شكر إلى شيخي الحبيب الأسير المحرر (نضال زلوم) "أبو أنس"، الذي راجع لي هذه الدراسة وكانت لتوجيهاته ودعمه ومتابعته لي أكبر الأثر في استمراري بهذه الدراسة.

✍ وإلى الحبيب المجاهد والأسير المحرر (رامز الحلبي) الذي لم يأل جهداً في متابعة هذه الدراسة حتى تمت طباعتها ونشرها.

✍ وكذلك إلى (مؤسسة مهجة القدس) التي تتابع شؤون الأسرى وأوضاعهم.

✍ وكذلك الأخ المجاهد والأسير المحرر (شعبان حسونة) عضو اتحاد الكتاب الفلسطينيين والمجاهدون (منصور شماسني، عبد المنعم طعمه، إسلام جرار، إياد فنونة، يسري المصري) على دعمهم ومساندتهم.

مُقَلَّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين الذي أنزل الكتاب ولم يجعل له عوجاً، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن الله إلى صراط العزيز الحميد، والصلاة والسلام على من نزل الله عليه الكتاب تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ويبين للناس ما نزل إليهم ولعلمهم يتفكرون، وعن سائر آله وأصحابه الذين آمنوا به وعززوه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون، وعن كل من سار على دربه وانضم إلى حزبه إلى يوم الدين، أما بعد:

الحياة في ظلال سيرة المصطفى نعمة.. نعمة لا يعرفها إلا من ذقتها، ولقد عشت مع سيرة المصطفى (ﷺ) منذ نعومة أظفاري، ومنذ أن بدأت أسمع قصص المعاناة التي تعرض لها الرسول (ﷺ) وصحابته على أيدي صناديد قريش. بل كنت أحرص على حفظ هذه لسيرة عن ظهر قلب، حيث كان شيخنا الحبيب (كمال زهدي شواهنة) _حفظه الله ورعاه_ يقصها علينا في بيته الصغير، وكذت في نفس الوقت متعتي كبيرة وأنا أسمع بطولة (حمزة) وشجاعة (علي) وإقدام (البراء بن مالك). وكنت أيضاً أسمع (الصديق) رضي الله عنه وهو يصدح بأعلى صوته:

(والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة). وأشاهد (خالد بن الوليد) سيف الله المسلول وهو ينظم صفوف المسلمين في اليرموك، ويخترق الصفوف ويُجندل القادة.

لقد أصبحت بعدها قُراً سيرة الصحابة بشغف كبير، وكانت دوماً أحلامي الصغيرة تراونني بأن ألتقي مع رجال كهؤلاء يدافعون عن مسرى الحبيب وأرض الرباط والجهاد، وكنت كلما أرى صهيونياً غاصباً يُهين شيوخنا ويعتدي على أمهاتنا وعجائزنا، يقفز خيالي الصغير وأتصور (البراء بن مالك) يمسك عنان فرسه ويخترق الحواجز والحدود؛ ليصدّ هذا الصهيوني، ويطرده من أرضنا المباركة، وكلما كبرت كبر حبي لصحابة رسول الله (ﷺ) حتى أصبح شيعي (أبو المقداد) يكتيني (أبا البراء) وحينها لم أكن أتجاوز الثالثة عشر من عمري. ثم بدأت أبحث بجدٍ عن سيرة هذا الصحابي العظيم، وما كتب عن مآثره وجهاده وعطائه، ودور البيت التي نشأ به وأمه (الرميصاء)، وأخيه الصحابي الجليل خادم الرسول (ﷺ) (أنس بن مالك).

كبرت وأُنهيت دراستي الثانوية ودخلت الجامعة، وجاءت انتفاضة الأقصى المبارك، حين دنس الحاقق شارون أرضنا الطاهرة، وانتفضت الأمة، وكنت دوماً أبحث عن النموذج والقُدوة، وانخرطت في هذه الانتفاضة كما كل أبناء شعبي وأصابني ما أصابهم من ألم الاحتلال

البراء به مالك وآل ملهه، النموذج المفقود

وملاحقه لي ولكل مجاهد صادق عشق فلسطين والأقصى، وحمل عبء الرسالة الربانية الأصيلة، حتى دخلنا السجن وعشنا معاناته وخلوته.

منذ أن وطأت قدمي أرض السجن تيقنت أن عهداً ومرحلة جديدة قد بدأت في حياتي، تحتاج أيضاً إلى القدوة والنموذج الصابر الثابت، وخاصة حين رأيت أمامي رجالاً كالجبال، مرّ على معاناتهم وأسرههم وغيابهم في سراديب وزنازين الاحتلال عشرات السنين، وهم ينتظرون الحرية والعنق من براثن القهر والحرمان، فأيقنت حينها أن المرحلة تتطلب منا أن نتمثّل بحبنا وتأثرنا بسيرة المصطفى (ﷺ) على أرض الواقع، ونتعالى على عذابات السجن ومكر السجان، وأن نشمّر عن ساعد الجد والعمل، وأن لا أسمح لظلمة السجن أن تسرق مني زهرة شبلي دون أن أغوص في بواطن الفكر والعلم والثقافة، وأستطيع من خلالها أن استثمر الليالي الظلماء الطويلة، وأتغلب على وجع الأسر وألمه.

فأقبلت على العلم بنهم شديد، أبحث وفُتِّش، وأُقلب صفحات الكتب القيمة، وكل ما يشبع فكري وعقلي ويغذي روحي وذاتي، حتى رأيت أنه من الواجب أن أكتب هذا الكتاب المتواضع عن الصحابي الجليل المقدم، والليث الهصور لجسور الأمير الذي لا يؤمّر⁽¹⁾؛ لتكون هذه لسطور القليلة من نور الحياة لأحد الفرسان الربانيين رسالة نور، أضعها هالة أمام رجال الأمة وشبابها وفتيانها، وخصوصاً والأمة تعيش أقصى أزماتها، أزمة الرجال،

(1) مقولة لعمر بن الخطاب: (لا تؤمّروا البراء على جيش فيهلكه من أقدم).

أزمة القوة والنموذج، فجبل الصحابة جيلٌ قد زكاه الله ورسوله، وينبغي لكل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُجلَّ هذا الجيل وأن يرضى عليه.. ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَظْلَمَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوَاقِهِ لِيُجِبَ الزَّرْعَ لِيَكْثُرَ بِهِمُ الْكُفَّارُ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [فتح: 29]

وقال الرسول (ﷺ): (خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذي يلونهم)⁽¹⁾، وعلى هذا لا يجوز شرعاً أن ينال أحد من صحابي مطلقاً، فهم نقلة القرآن والإسلام للأجيال، وقد اختارهم الله ليكونوا أمناء على هذا الدين. شاهدوا التنزيل وتعلموا التأويل. فقد قال رسول الله (ﷺ): (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدكم ولا نصيفه)⁽²⁾ فرضي الله عن صحابته أجمعين.

لم أترك مصدراً للبحث حول هذه الدراسة في السجن إلا وقرأته، حتى استطعت أن أصل إلى هذه الدراسة التي تحدثت في بابها الأول عن فضل صحابة لرسول (ﷺ)، ثم عن نور البيت للمسلم في صناعة الرجال، وفي الباب الثاني تحدثت عن عائلة (البراء بن مالك) ابتداء من أمه وأخيه وعمه

(1) صحيح البخاري. الحافظ بن حجر العسقلاني، "فتح الباري في شرح صحيح البخاري"، 6/8-5.

(2) "الاستيعاب على هامش الإصابة"، 4/1.

البراء بن مالك وآل ملهه، النموذج المفقود

وخالته وزوج أمه، ثم انتقلت في الباب الثالث لأحدث عن (البراء بن مالك) وجهاده ومساهمته في عزة الإسلام ونشر نوره من خلال مسيرة جهاده، وفي الباب الأخير قدمت فضل لجهاد وعداً من نصائح والرسائل لكل مجاهد صادق. هذه الدراسة دعوة لشباب الأمة لكي يحسنوا الاقتداء، وينهلوا من معين سيرة خير البشرية على الإطلاق. فلن يعود لهذه الأمة مجدها ووحيتها إلا إذا عادوا إلى إسلامهم، ومصدر عزتهم، فحينها سوف يفهمون كيف استطاع المسلمون قهر فارس والروم في سنوات معدودة، وهزموا أعظم إمبراطوريتين في ذلك العصر، ونشروا العدل والأمن والأمان في كل أرض وطأها أقدامهم.

والله أسأل أن أكون موقفاً في دراستي وأن يرزقني الله الصديق والإخلاص والقبول، وأن يجعل فيها الخير لمن قرأها وتكون لبنة بسيطة في بناء الأمة، ونقطة في بحر التغيير المنشود الذي طال انتظاره. فإن وفقت فذلك من الله وإن قصرت فمن نفسي، والله من وراء القصد. وأرجو من كل من يقرأها أن لا ينساني من صدق دعائه لي، ولإخواني الأسرى، وللمسلمين بالفرج العاجل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الأسير/ علي رفيق محمد شواهنة "أبو البراء"

سجن نفحة الصحرابي - قسم 13

زنزانة "77"

تمهيد

فضل جيل الصحابة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وقائد سرايا المجاهدين، وآل بيته الطاهرين ورضي الله عن صحابته أجمعين الغر الميامين، أعلام الورى وليوث الوغى، الذين جاهدوا في سبيل الله حق جهاده فحملوا رسالة القرآن لجميع بني الإنسان راغبين في إصلاحهم وإسعادهم وإنقاذهم من النار، فكانوا أنفع الناس للناس، فكان هذا الجيل الذي تربي على موائد القرآن خير أمة في بني الإنسان ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: 110]، وعدّ لهم رسول الله (ﷺ) وفضلهم عن سائر الأمم بقوله: (إِنَّكُمْ تَتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ)⁽¹⁾.

أليس منهم أهل بدر الذين قال فيهم رسول الله (ﷺ): (لعلّ الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فأني قد غفرت لكم)⁽²⁾.

(1) جامع الترمذي.

(2) صحيح البخاري، متن فتح الباري، 258/10.

أليس منهم أهل الحديبية الذين بايعوا رسول الله (ﷺ) بيعة الرضوان فقال الله فيهم: ﴿هَذَا مَرْضِيَّ اللَّهِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 18]

وقال فيهم رسول الله (ﷺ): (أنتم خير أهل الأرض)⁽¹⁾، وفي حديث آخر قال الرسول (ﷺ): (اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا مِنْ بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحَبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِإِبْغَضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ قَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي قَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ)⁽²⁾.

وقد قال الإمام الحافظ أبو زرعة الرازي: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول حقّ والقرآن حقّ وما جاء به حقّ وإيما أدى إلينا ذلك كله، الصحابة⁽³⁾).

ومن لجدير ذكره هنا أن دراسة حياة الصحابة _رضوان الله عليهم خاصة في هذا العصر والزمان_ لها فوائد جمة، ودروس عدة، وحكم وافرة، وعظات زاخرة، فإن الباحثين عن جلال الأعمال وحميد الخصل من شجاعة وإقدام وثبات وصبر وعدل وعلم وفقه وحكمة وجرأة على

(1) صحيح البخاري، 449/8. والفتح الرباني، 258/10-259.

(2) رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه.

(3) ابن حجر العسقلاني، "الإصابة في تميز الصحابة"، 1/1.

البراء به مالك وآل ملهه، النموذج المفقود

الظلم والظالمين، يجدون هذه الخصال وأكثر منها في صحابة رسول الله (ﷺ).

لقد استطاع رسول الأمة (ﷺ) أن يربي هذا الجيل الشاهد الشهيد، الجيل القوي الوفي الزكي حين سكب في أفئدتهم من التقوى والفداء، ما جعل هذا الجيل القرآني الفريد قادراً على أن يهزم فتن الحياة وكيد الجبابرة، واستطاع بعظمة رائعة أن يُسلم القرآن الكريم للأجيال اللاحقة، ديناً ودولة وأن يجنبوه ما اعتري الكتب الأولى من تحريف وتصحيف، فهو لاء هم سلفنا الصالح، الصالح لقيادة الحياة وإدراك الآخرة عن جدارة لا عن دعوى. ألا ما أعظم صحابة رسول الله (ﷺ) وما أكبر ديئهم في رقابنا.

فقد استطاعت رسالتهم المستوحاة من الرسالة الخاتمة تغيير العالم أجمع، وكان عُدَّة أولئك الأصحاب الذين نفخ فيهم الرسول محمد (ﷺ) من روحه، وفقهم في كتابه، وجعل منهم أسلثة في فن الحكم ورعاية الأمة وحماية الحقوق وتزكية السرئر وبناء الأخلاق الحسنة، ودعم التقاليد الجميلة، ذلك كله في سياق من التوحيد المحصن والعبادة النقية. هذا هو الجيل المتميز الذي لا وجود الزمان بمثله أبداً، فهم أفضل الناس بعد الأنبياء. (1)

(1) سيد العفاني، "فرسان النهار من الصحابة الأخيار".

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد (ﷺ) خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيّه (ﷺ).⁽¹⁾

وقال سفيان الثوري: اختارهم الله على الثقلين سوى النبيين والمرسلين، فكانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوباً، أعمقها علماً، وأقلها تكلفاً.⁽²⁾ والله در ابن القيم حين قال:⁽³⁾

القانتون	المختبون	لربهم	الناطقون	بأصدق	الأقوال
يحيون	ليلهم	بطاعة	ربهم	وتضرع	وسؤال
وعيونهم	تجري	بفيض	دموعهم	مثل	انهمال
في الليل	رهبان	وعند	جهادهم	لعدوهم	من أشجع
وإذا بدا	علم	الرهان	رأيهم	يتسابقون	بصالح
بوجوههم	أثر	السجود	لربهم	وبها	أشعة
وبراءة	والحشر	فيها	صفاتهم	وبهل	آتى
					وبسورة
					الأفان

فما أجمل صحبة رسول الله، نعم.. هم السابقون السابقون وهم الأولون الأولون، وهم خير البشرية جمعاء، أهل العطاء المتدفق.

(1) ابن الجوزي، "التبصرة"، 477/1

(2) سيد العفاني، "فرسان النهار من الصحابة الأخيار"، ج 2، 78.

(3) ابن قيم الجوزية، "إغاثة اللهفان".

الباء به ماله وآل مله، النموذج المفقود

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُمْ﴾ [التوبة: 100]

ما كان حديثاً يُفترى، ولا فتوناً يتردد، ذلك الحديث الذي روى به التاريخ أنباء أعظم تُلَّة ظهرت في دنيا العقيدة والإيمان، حين كانت الحياة تنتظر من يجدد لقيمها الروحية شبابها وصوابها، جاء هؤلاء مع رسولهم الكريم (ﷺ) مبشرين وناسكين، وحين كانت تهيب من يضع عن البشرية الرزحة أغلالها، ويُحرر وجودها ومصيرها، جاء هؤلاء وراء رسولهم العظيم (ﷺ) ثواراً ومحررين، وحين كانت تنتظر من يستشرف للحضارة الإنسانية مطالع جديدة ورشيدة، جاء هؤلاء رواداً ومستشرفين.

كيف أنجز هؤلاء الأبرار كل هذا الذي أنجزوه في بضع سنين، كيف دمدمو على العالم القنيم بإمبراطورياته وصولجانه، وحلوه إلى كتيب مهيل؟! كيف شادوا بقرآن الله وكلماته عالماً جديداً يهتز نفره ويتألق عظمه ويتفوق فتداراً؟! وقبل هذا كله، وفوق هذا كله... كيف استطاعوا في مثل سرعة الضوء أن يُضيئوا الضمير الإنساني بحقيقة التوحيد، ويكنسوا منه إلى الأبد وثنية القرون؟! (1)

(1) خالد خالد، "رجال حول الرسول".

وصدق رسول الله (ﷺ) حين قال: (إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَنِي وَاخْتَارَ أَصْحَابِي، فَجَعَلَ مِنْهُمْ وَزَرَءَ وَأَصْنَهَارًا وَأَنْصَارًا، فَمَنْ سَبَّهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ).⁽¹⁾

أختم حديثي عن فضل لصحبة لأقول إن الأمة وهي تعيش اليوم أشد أزمتها وتتكاثر عليها الأمم من كل جانب، وقد فقدت هويتها وضعفت شخصيتها، وذابت وماعت في شخصية عوها، جدير بها اليوم أن تهول إلى أمجلها وتاريخ صحابة رسولها (ﷺ) حتى تعود لها شخصيتها القوية، وعزيمتها الفولانية، فتصبح مرهوبة الجانب مخوفة لحمى.

(1) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي (635/3).

الفصل الأول

البراء بن مالك

البراء بن مالك، النموذج المفقود:

كما أن الله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته، فهو أعلم كيف يختار
لنبيه (ﷺ) حواريه وصحبته.

لنه (البراء بن مالك)!! إنه البطل الكرار صاحب رسول الله وأخو خادم
النبي (ﷺ) (أنس بن مالك)، شهد أحدًا وبائع تحت الشجرة.

كان عالي الهامة، مشدود القامة، تتأجج بين جوانحه عزة الإسلام،
ويتوقد في فؤاده كبرياء الإيمان.

نعم إنه الليث المحصار، والغيث المدرار، مفرق كتائب المشركين
والآتي من أنواع الشجاعة بما أوجب تحير المعجبين.

لنه (البراء) الذي اشتهر عنه أنه قتل في حروبه مائة نفس من
الشجعان مبارزة.⁽¹⁾

(1) لذهبي، "سيرة أعلام النبلاء"، 196/1.

لَهُ (البراء) الذي كان الخليفة الراشد الثاني (عمر بن الخطاب) يكتب إلى أمراء الجيش: لا تستعملوا (البراء) على جيش فإنه مهلكه من المهاك يقدم بهم!!⁽¹⁾، إذ هو لا يبحث عن النصر فقط، ولكنه يبحث عن الشهادة⁽²⁾.

وكان البراء _ رضي الله عنه _ لا يهتم بمظهره، قدر اهتمامه بمخبره الذي هو محل نظر الرب _ سبحانه _، فتحت أسماه البالية تسكن العظمة⁽³⁾.

فعن (أنس بن مالك) رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): (كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ، مِنْهُمْ: الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ)⁽⁴⁾.

وهذا الحديث يبين أن قيمة الرجال ليس بضخامة أجسادهم، ولا بمجادة أنسابهم، ولا بعراقة مظهرهم ولا بشهرتهم وعلو مكانتهم بين الناس، وإنما قيمتهم عند الله بمقدار ما في قلوبهم من إيمان، وما يثمر إيمانهم من عمل، وما يصاحب عملهم من إخلاص، وبعبارة موجزة قيمتهم عند الله بعملهم

(1) رواه الحاكم في المستدرک (291/7). سعد أبو عزيز، "رجال ونساء حول الرسول"، ص 131.

محمد الكاندهلوي، "حياة الصحابة" (128/2).

(2) محمد الكاندهلوي، "حياة الصحابة"، (128/2).

(3) سعد أبو عزيز، "رجال ونساء حول الرسول".

(4) حسن صحيح: أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك.

البراء به مالك وآل ملهه، النموذج المفقود
وجهادهم وتقواهم، ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:

[13]

فـ(البراء) رضي الله عنه كان أشعث أغبر، ضئيل الجسم معروق
العظم، تقحّمه عين رائية، ثم تزور عنه ازوراراً، فلم يكن مقول
العضلات ولم يكن يلبس أجمل الثياب، ولكنه قتل مائة من المشركين
مبارزة واحدة، عدا عن الذين قتلهم في غمار المعارك مع المحاربين.

ما أعظم الرجال حين يتشربون عزة الإسلام، وينطقون من أجل
الإسلام، ويحملون على أكتافهم رسالة الإسلام، هكذا كان (البراء بن
مالك) رضي الله عنه_ لقد جعل همه في السماء، ففي الحديث: (مَنْ
جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ الْمَعَادِ، كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ
الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا، لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْلِيَّتِهِ هَلَكَ) ⁽¹⁾.

نعم أخي المجاهد هكذا يكون أصحاب العقيدة النقية الحية، الذين
أضاعوا جوانب حياتهم من معين لمصطفى (ﷺ)، ونهلوا من مشكاة
النبوة ومن نبل شمائله، وجيل خصائله، حتى غدا الواحد منهم كالطود
العظيم بعبطئه وجهاده، وكم نحتاج لرجال كهؤلاء بعد أن فقد شباب الأمة
النموذج والقُدوة وأصبحت الأمة تعيش في كل هذا الضياع والتفريق
والهوان، وأصبحت الأمم الأخرى تتداعى عليها كما تتداعى الأكلة على

(1) سنن ابن ماجه.

قصعتها، حتى أصبح أراذل البشر أسياد الزمان، وحتى غدا من يتربص بعقيدتنا وقرآننا يحدد لأمتنا جدول أعمالها، فقد استبدلنا بالعزة والكرامة الذل والهوان واستبدلنا بالفضيلة رذيلة.

ما أجمل الأمة لو تعود لدستورها وعقيدتها، وتمتلك زمام أمورها لنحيا حياة العزة التي أرادها الله لنا!، حين جعلنا خير أمة أخرجت للناس.

جوانب الشجاعة والبطولة في شخصية البراء:

رغم أنه الكَمِي⁽¹⁾ الباسل المقدام إلا أن الفاروق كتب إلى عماله في الآفاق، ألا يولّوه على جيش من جيوش المسلمين خوفاً من أن يهلكهم بإقدامه.

فلو رحت أخبركم عن بطولاته وشجاعته، لطال الكلام وضاق المقام، فإن للبطولة مقومات قد لا توجد عند كل شجاع، وللشجاعة سمات قد يتحلى بها قطاع الطرق، فهل البطولة هي الشجاعة وهل كل شجاع بطل؟!

لقد كان (البراء) شجاعاً وبطلاً في آن واحد، بطلاً في رسالته ومواقفه وشجاعاً في إقدامه وجهاده، وقد اكتسب صفات البطولة من مرافقته لخير الأبطال على وجه الأرض محمد (ﷺ)، ولقد صقل الإسلام جوانب هذه الشخصية البطولية عند (البراء) من خلال فهمه لفلسفة الشهادة والجنة

(1) الكَمِي: الشجاع وجمعه كماء، انظر مختار الصحاح مادة "ك، م، ي".

البراء به مالك وآل ملهه، النموذج المفقود

والنعيم، فاكسب من خلالها الشجاعة والإقدام، ومفهوم التضحية والفداء، فكان بطلاً بين الأبطال وشجاعاً بين الشجعان، يعشق الشهادة، وجعل غايته الجنة ونعيم الآخرة.

والشجاعة هي بالتأكيد من الفضائل الحميدة التي حث عليها ديننا الحنيف، خاصة إذا انسجمت مع الإيمان العميق في قلب الإنسان ونُزِع منه الخوف في جميع مواقف الحياة، مادام على حق في عمله وقوله وسلوكه وتعامله مع الناس، لا يخشى في الله لومة لائم، ولا يهاب عظيماً أو سلطاناً ولا يرضى بالذل والهوان، لأن المؤمن عزيز النفس والكرامة، وليس المقصود من لشجاعة التهور والاندفاع إلى العدوان أو ظلم لغيره، وإنما الشجاعة فضيلة تجعل المسلم وسطاً بين دوافع العقل وعزة النفس وبين رذيلة الجبن والخذلان، التي تجعله يحرص على حياة فيرضى بالذل والائسار، وهذه هي الشجاعة التي صقلت جوانب شخصية (البراء بن مالك) رضي الله عنه، الشجاعة التي ظهرت في مواقف شتى في حياته وجهاده وشجاعته، في قول الحق ونصرة المظلوم، وشجاعته في إنقاذ المنكوب وشجاعته في حمية رسالته ودعوته، كلها ألوان من الشجاعة ظهرت في إقدام (البراء) في مواقف كثيرة سوف نعرض عليها في بحثنا هذا جعلته يضحي بنفسه في سبيل الله وسبيل الدعوة وسبيل مبادئه وفكرته وعقيدته. ولا شك أن هذه الشخصية التي غمرت جوانبها رسالة الإسلام، وتشربت عقيدة التوحيد ما كانت لترتقي ولا تسمو لولا

الزرع العميق الثابت الذي بذره الرسول (ﷺ) في قلوب أصحابه وكان مثلاً لهم، في ثباته على الحق حين رفض مساومات قريش، وسفه أباطيلهم، وسخر من الوثنية، ودعا إلى كلمة التوحيد، فكان المثل الأعلى في الشجاعة والبطولة، وكان الشجعان والأبطال من أصحابه هم وحدهم الذين يجدون في أنفسهم الجرأة على الوقوف بجانبه في ساحات الحرب، وقد ذكر (البراء بن عازب) رضي الله عنه: كنا إذا احمرّ البأس نتقي برسول الله (ﷺ).⁽¹⁾

وكذلك ما ذكره الإمام (علي) عن شجاعة الرسول (ﷺ) في الحرب والقتال فقال: (إنا كنا إذا اشتد البأس واحمر الحديق _سواد العين_ لتقينا برسول الله (ﷺ) فما يكون أقرب من العدو منه، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله (ﷺ) وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً).⁽²⁾

وشجاعة الرسول لا تعد ولا تحصى، فهو أشجع الشجعان وبطل الأبطال، ولهذا انعكست هذه الشجاعة على أصحابه الذين أصبحوا نماذج من المدرسة المحمدية، هذه النماذج التي أيقنت أن النافع والضار والمحيي والمميت هو الله _تعالى_، وبذلك فهي تحرر الإنسان من لخرافات

(1) رواه الشيخان عن ابن عباس.

(2) ابن كثير، ج 2، 425.

البراء بن مالك وآل ملهه، النموذج المفقود

والأوهام، وتمنعه عن كل ما فيه استعانة بغير الله واللجوء إلى ما سواه،
لدرجة أن هذه الاستعانة تعد شركاً بالله، وفي تأكيد هذا المعنى جاءت
وصيته _عليه الصلاة والسلام_ لابن عباس _رضي الله عنهما_ حيث
قال: (يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده
تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله
وإذا استعنت فاستعن بالله)⁽¹⁾.

ومن هنا كانت القناعة التامة أن الجبن لا يطيل عمراً، وأن الشجاعة لا
تقصر أجلاً ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: 145]
وقد وصف الحق تعالى هؤلاء المؤمنين بقوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ
النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل
عمران: 173]

نشأة البراء بن مالك ودور البيت والبيئة المحيطة في التربية:

كي نتعمق في بعض جوانب شخصية (البراء بن مالك) لا بد لنا أن
نبدأ معه هذه النشأة المميزة منذ الصغر، لقد نشأ حبيبنا (البراء) في كنف

(1) رواه الترمذي، الجامع: 667/4. وأحمد في المسند، 293/1.

أمه الرميضاء⁽¹⁾، وكانت سيدة من أشرف المدينة تمتلك شخصية قوية وجمالاً باهراً، وكان إسلامها قبل قدوم النبي (ﷺ) إلى المدينة، وقد خاضت رضي الله عنها صراعاً شديداً مع زوجها (مالك بن النضر) للدخول في الإسلام، دين الخير والسعادة والإخاء والمساواة، والذي يجمع على رابطة العقيدة ويذهب عنهم عداوة الجاهلية وظلمها، إلا أن زوجها ختم الله على قلبه بالكفر فأبى الدخول في دين الله ورفض إسلامها، إلا أن زوجته التي غمر الإسلام قلبها بدأت تتجه نحو أبناءها، (البراء بن مالك) وأخيه الرضيع (أنس بن مالك)، تلقنهم شهادة الإسلام وقد كانوا أرضاً خصبة لدعوة الإسلام ورسالته المباركة، وبدأت تعلمهم تعاليم الدين الجديد، وتحبب إليهما النبي الذي لم تره بعد، وبدأت الهوة بينها وبين زوجها تزداد ويتصاعد التحدي بينهما، فيخسر زوجها (مالك) الرهان والتحدي ويعجز عن مواجهة زوجته المتسلحة بعقيدة الإسلام، فمضى غاضباً قاصداً الشام، فوجده عدو له فقتله⁽²⁾. فحزنت على زوجها حزناً شديداً، لأنه مات على الكفر ولم يتذوق حلاوة الإيمان، وعوضها الله

(1) الرميضاء وقيل الغميضاء والأرجح أنهما وصف لها، وقيل لرمص في عينها. وفي فتح الباري أن الرميضاء لقب لأم حرام والغميضاء لأم سليم، وقال المعياض: قيل العكس، وقال ابن عبد البر الغميضاء والرميضاء هي أم سليم، ومعنى الرمص والنمص تقارب العين وفي هديها، وقيل استرخاؤها وانكسار الجفن. [فتح الباري، ج12، ص0344]. انظر كتاب: صور من حياة الصحابييات لعبد الرحمن باشا.

(2) ابن سعد، "الطبقات الكبرى"، 8/425-426.

البراء به مالك وآل ملحاه، النموذج المفقود

بطفليها (البراء) و(أنس) اللذان عاهدت نفسها على حسن تربيتهما، وازدادت سعادة بإسلام أختها (أم حرام) وزوجها (عمرو بن قيس) وابنيها (قيس) و(عبد الله) وأخويها (حرام) و(سليم) وازدادت هذه السعادة بإسلام (أنس بن النضر) شقيق زوجها (مالك) وأخته (الربيع) وأبنائهم (النضر بن أنس) وجارته بن الربيع⁽¹⁾.

لقد شغف حب النبي (ﷺ) (البراء) و(أنس) رضوان الله عليهما قبل أن يرياه، ولا غرو في ذلك، فالأذن تعشق قبل العين أحياناً، وكم تمنيا أن يمضيا إلى النبي في مكة أو يقد الرسول الأعظم (ﷺ) عليهم في يثرب⁽²⁾ ليسعدا برؤياه.

لم يمض على ذلك وقت طويل حتى سرى في يثرب المحفوظة المغبوبة أن النبي _صلوات الله وسلامه عليه_ وصاحبه الصديق في طريقهما إليها، فغمرت البهجة كل بيت، وملأت الفرحة كل قلب، وتعلقت العيون والقلوب بالطريق المبارك الذي يحمل خطا النبي (ﷺ) وصاحبه إلى يثرب، وأخذ فتیان المدينة يشيعون مع إشراقة كل صباح أن محمداً قد جاء، فكان يسعى البراء مع أخيه أنس مع الساعين من الأولاد الصغار، ولكنه لا يرى شيئاً فيعود كئيئاً محزوناً.

(1) أيمن قفيشة، "أكرم النساء مهراً".

(2) يثرب: اسم قديم للمدينة المنورة وسماها الرسول طيبة.

وفي ذات صباح شذي⁽¹⁾ الأنداء، نضير الرواء، هتف رجال في يثرب أن محمدًا وصاحبه غدوا قرييين من المدينة، ومضوا يتسابقون إليه زرقات ووحداً تتخللهم أسراب من صغار الفتیان تزُغرد على وجوههم فرحة تغمر قلوبهم الصغيرة وكان في طليعة هؤلاء الصبية (البراء بن مالك) وأخوه الصغير (أنس بن مالك).

وما كاد الرسول الكريم (ﷺ) يستقر في المدينة حتى جاءت (الرميصاء بنت ملحان) أمّ (البراء) و(أنس) ومعها غلامها الصغيران ثم حيت النبي _عليه الصلاة والسلام_ وقالت: يا رسول الله، لم يبق رجل ولا امرأة من الأنصار إلا وقد تحفك بتحفة وإني لا أجد ما تحفك به غير ابني (أنس)، فخذهُ فليخدمك ما شئت، فمسح الرسول الكريم بيده الشريفة رأسه وضمه إلى أهله، وكان (أنس) أو (أنيس) كما كانوا ينادونه تدليلاً في العاشرة من عمره يوم سعد بخدمة النبي (ﷺ)، ويظهر من خلال بحثي وتفحصي أن (البراء) كان عمره حينها اثنتي عشرة سنة، لأنه كان يكبر أنس بحولين والله أعلم.⁽²⁾

بدأت مرحلة بناء الدولة الإسلامية الفتية، بعد أن كانت صفات المرحلة الأولى في مكة تقتصر على الدعوة وعلى التربية العقائدية، ولكن هنا في المدينة أضحت معالم الدولة بارزة واضحة، وخصوصاً بعد أن كتب

(1) أي مُطَيَّب بالمسك.

(2) هذه المعلومة اجتهاد شخصي غير مبنية على معلومة مسبقة.

البراء بن مالك وآل ملحان، النموذج المفقود

الرسول (ﷺ) الميثاق النبوي، أو وثيقة عهد الأمة، دستور المدينة الجديد، الذي يحدد علاقة المسلمين ببعضهم وعلاقتهم مع غيرهم من غير المسلمين وخصوصاً اليهود، وكذلك من خلال المؤاخاة التي لم يعرف التاريخ شبيهاً لها، حين اقتسم الأنصار مع إخوانهم المهاجرين المل والأرض والبيوت. (1)

ويختار النبي (ﷺ) بيت (أم سليم) الرميضاء مكاناً لهذه المؤاخاة ويشهد (البراء) على هذه المرحلة التي تفتح ذهنه الصغير على وقعها، ويؤاخي النبي بين (أبي طلحة الأنصاري) و(أبي عبيدة عامر بن الجراح) أمين الأمة رضي الله عنهما، علماً أن (أبا طلحة) كان قد تزوج (الرميضاء) بعد إسلامه وموت زوجها مالك بن النضر.

ونستطيع هنا أن نفهم مكانة (آل ملحان) في قلب النبي (ﷺ) حين اختار هذا البيت؛ ليؤاخي فيه بين المهاجرين والأنصار، وكذلك اختيار (أبو طلحة) لمؤاخاته بأمين الأمة (أبو عبيدة بن الجراح) رضي الله عنهما، وكذلك ما رواه (أنس) رضي الله عنه عن حب النبي (ﷺ) (آل ملحان) حين قال: (إن النبي لم يكن يدخل بيتاً بالمدينة غير بيت (آل ملحان) إلا على أزواجه (2) عندهم ويمارح أطفالهم، ويجمعهم فيدعو لهم

(1) زيد بن علي الوزير، "الفردية".

(2) مختصر صحيح البخاري، التجريد الصريح، 1172.

ويسألهم: أين تريدون أن أصلي لكم فيصلون وراءه في جماعة، نساؤهم وأطفالهم. ولعل النبي (ﷺ) قد وجد في هذا البيت الأنصاري الدفء الذي افتقده يتيمًا. (1)

وقد اتفق الفقهاء أن (أم سليم) و(أم حرام) من محارم النبي وإن اختلفوا في الكيفية. (2)

في بيت كهذا البيت المتميز، نشأ (البراء بن مالك)، وترعرع على حب الإسلام والقرآن واستطاعت أمه أن تزرع مفاهيم الإسلام الخالصة النقية في عقول ووجدان أبنائها، وكلما كبر (البراء) وأخوه (أنس) كانت تظهر عليهما جوانب الشخصية الإسلامية المتميزة بعبائنها وأخلاقها وفكرها وانتمائها، وسنتحدث عن هذه العائلة بشيء من التفصيل؛ لنقف على حقيقة هذا البيت والبيئة في نشأة البراء وشجاعته.

(1) أيمن قفيشة، "أكرم النساء مهراً".

(2) أيمن قفيشة، "أكرم النساء مهراً".

الفصل الثاني

دور البيت المسلم في صناعة الرجال

دور البيت المسلم في النشأة والإعداد:

لقد اهتم الإسلام منذ أن انبلج فجر الرسالة بتكوين البيت المتماسك، البيت الذي أسس قواعده على مبادئ الإسلام وتعاليمه، يبدأ صباحه مع شذى الأنداء بالتسبيح والقرآن، وينتهي يومه بالحمد والأذكار.

إن البيت هو أول لبنة في بناء صرح الإسلام العظيم، وإدارة البيت يجب أن تكون مشتركة بين الأب والأم، فالأب هو القيم والموجه والمكلف بالإعانة وتوفير أسباب الحياة الكريمة، والأم هي المدرسة الأولى، وهي المربية والناصحة والملهمة لأولادها، بل هي عماد البيت وركيزته الأساسية.

إن التصور الإسلامي مبني على أساس التكوين الجماعي للمجتمع، وليس على أساس التكوين الفردي، لأنه في الغالب الأعم يُنظر للفرد في إطار وجوده الجماعي.⁽¹⁾

(1) هبة عزت، "المرأة والعمل السياسي - رؤية إسلامية".

ولقد استطاعت أمنا (خديجة بنت خويلد) _ رضي الله عنها _ أن تحمي نور الإسلام والنبوة في بيتها، حين ساندت زوجها وشدت عضده، وكانت أول امرأة تشرفت بهذه الرسالة الخالدة، حين أوى إليها الرسول (ﷺ) فرعًا مذعورًا من غار حراء، فكثرت _ رضي الله عنها _ النموذج والقُدوة والمثل الأعلى في الإخلاص والصدق والصبر وحمل عبء الأمانة، وهكذا كانت الطاهرة المطهرة (عائشة) _ رضوان الله عليها _ في شخصيتها الواثقة التي تحمل ما يجول في خواطر الصحابيَّات إلى الرسول الكريم (ﷺ) ونفسي وتجتهد حتى أصبحت الأم الفقيهة، ولقد تميزن الصحابيَّات في عهد الرسول بعد أن أكرمهن الإسلام أمًا، وأختًا، وزوجة، وبناتًا فكان منهن المجاهدة والفقيهة والمرضة لعامة، وكان منهن الخنساء والشيماء والرميصاء والغميصاء، فرضي الله عنهن أجمعين.

لقد استطاع نور الرسالة الإسلامية أن ينتشر في ربوع الجزيرة، ويقتحم حصون كسرى وقيصر، بعد أن أرسى شعاعه في بيوت المدينة المنورة، وبعد أن وضع رسول البشرية (ﷺ) قواعد الإخاء والمحبة بين صحابته من المهاجرين والأنصار، وجعل أساس البناء هو البيت والأسرة، فهما عماد الأمة والمجتمع.

أما بعد أن أصبح الإسلام جسدًا بلا روح، وأصبحت العبادات حركات تؤدي دون فكر ولا خشوع، غدت أيضًا مهمة البيت التربوية في هذا

الباء به ماله وآل مله، النموذج المفقود

الزمن الصعب من المهمات العسيرة، لقد استطاعت الثقافة الوفدة في زمن العولمة والتغريب اختراق البيوت المسلمة، وأرادت من وراء ذلك هدم هذه القلعة الأخيرة المتبقية من المجتمع.

لقد انقلبت موازين التربية والإعداد عند الأمة، فبعد أن كان الأب والأم القدوة والمثل للأولاد أصبحوا عنواناً لهدمه وانحرافه، ونسوا قول الله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَامِرًا وَقُدُّهَا النَّاسُ وَالْحِجَابُ عَنِهَا مَلَأَكُمْ غِلَظُ شِدَادٍ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6]

لقد اجتاحت بيوتنا اليوم الرياح العاتية حين تسللت إليها الأدوات الغربية المتعددة، وأدخلت بهدوء الشيطان الذي يسوّل للعقل الحليم فيصديه، فماذا تراه يفعل بالصبي والصبية. (1)

كانوا ونحن صغار يتحشثون عن أقوام سيغزون الأرض بالأطباق الطائرة، التي تحتلها ربما... وكان الناس يتحسبون ويخفون الغزو، ويحذرون ويتساءلون: ماذا نفعل إذا وقعت المحانير التي ستكون نتائجها مخيفة جداً؟ وحصل هذا اليوم فغزتنا هذه الأطباق بهدوء بالغ.

لقد حطت الأطباق على سطوح منازلنا ونحن نهمل لها (*)، فرحبنا بها وحطت رحالها في غرف أبنائنا وبناتنا ونحن نظن لنهم آمنون... وهم

(1) نزار أباظة، "أطفال مع الرسول"، ص 201.

يتسلون بالمآكل التي تضر جسومهم، وبالأفلام التي تضر أرواحهم، وبالأفكار التي تفسد عقولهم، ولا نحرك ساكنًا، بل لا نستطيع إذا أردنا فقد تأخر بنا الوقت.

إن واجب الآباء والأمهات عظيم في هذا الزمن، وأهم ما يقدمونه لأولادهم وأطفالهم القدوة الصالحة، لا النصائح الفارغة، وهذا هو هدفنا من هذا الكتاب المتواضع، أن نعيد للأمة نموذج البيت الصالح المتميز، بيت (آل ملحان)، المرأة النموذج، والزوج النموذج، والأخت والأخ ولعم والخال، بيت متماسك، بيت مجاهد وزاهد، بيت أحبه رسول الأمة حتى ذكر أنه ما كان بيت يدخله الرسول غير بيته إلا بيت الرميضاء رضي الله عنها.

لنا نهدف مع كل الصادقين المخلصين أن نوجد هذا البيت النظيف، الذي يتميز بالاستقامة على الجادة، وبالامتناع عن كل ما يشين، وليس فيه تصرفات خاطئة كالكذب وتكشف العورات والكلام البذيء والتدخين والمال الحرام والاحتيل والمرَاغة وشرب الخمر وزدراء الجيران واحتقار الآخرين والتهاون بالصلاة وتضييع الوقت بالترهات والتفاهات وقضاء الأوقات الطويلة على التلفاز بما لا يفيد من البرامج التي تميّع

(*) وهنا لا يظن أحدًا أنني ضد هذه الأطباق، فقد أنتجت ثورة إعلامية وفكرية عظيمة، ولكن أقصد ترهل الأهل وتفاسدهم عن واجبهم في التربية والمتابعة والمراقبة لأبنائهم وتوجيههم وغرس مفاهيم التسامي والأخلاق والثقافة الإسلامية.

الباء به ماله وآل مله، النموذج المفقود

الأخلاق والسلوك، البيت الذي لا يوجد به شعور بالحرمان والتبرم الدائم والإكباب على الاستهلاك وتبذير المال.

نحتاج إلى البيت الإيجابي الذي يهتم بالعلم والقراءة والطاعة والقربات إلى الله، والتعاون بين أفراد ومعرفة كل فرد لواجباته بعيداً عن الأنانيات، وكذلك البيت المبني على تقوى الله والخوف منه، والعمل على التفكير الصحيح وتنمية القدرات الذاتية وبناء الذات الشخصية والبحث عما ينفع الأمة.

إن الوالدين مطلوب منهما القيام بصياغة هذا البيت المبني على التربية الحق، ليس تربية الجسد فحسب، بل تربية الروح وتربية الإيمان والخلق والعقل والنفس.

إن (الرميصاء) و(الغميصاء) وغيرهن من الأمهات المربيات، لم يتخرجن من كليات التربية، ولكنهن نجدن بإخراج رجال أعلام قُادوا المجتمع، بعد أن تربيهن هن على الحق والخير والجمال.

لقد سعد الأطفال الذين كانوا حول الرسول (ﷺ) وحول الصحابة، فغدوا رجالاً عظماء، لأنهم كانوا يحملون قضية يعيشون لها، ويكبرون من أجلها ويدفعون عنها، وكل طفل لا يحمل قضية عظيمة سيكون فيما بعد رجلاً تقهًا، وكل طفلة لا تستشعر هدفاً سامياً ستصبح امرأة سخيفة، وأمثالها سيكون عبئاً على المجتمع وضرراً عليه.

إننا ونحن نعيش اليوم في عصر الثورة العلمية والتقدم، عصر الإنترنت والعولمة، إننا نحتاج إلى البيت الذي تسوده روح التفاهم بين أعضائه، بين الأم والأب، الذين يزرعون مفاهيم التسامي والأمل، مفاهيم التفاهم واحترام بعضهما البعض، لا فوقية ولا سلطوية ولا انفراد بالقرارات، بيت تنتشر في جوانبه السعادة الحقيقية، البيت الذي يخطو خطوة بخطوة في بناء المستقبل وبناء المجتمع، البيت الذي يزرع في أبنائه الثقافة الإسلامية الرقمية وبعد أن تستقر في عقولهم وقلوبهم ووجدانهم، يطلعونهم على الثقافات الأخرى ضمن الضوابط الشرعية.

بهذا المنهج نؤسس معاً إلى حياة إسلامية راقية متميزة. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكََ

لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قُلُوبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37]

الفصل الثالث

عائلة البراء بن مالك

الرميصاء - أكرم النساء مهراً^(*):

(الرميصاء) ويقال (الغميصاء) وقد سبق ذكر تفصيل عن هذا اللقب لها^(*) بنت ملحان، الأنصارية الخزرجية، أم خادم النبي (ﷺ) (أنس بن مالك)، والبطل المغوار (البراء بن مالك).
أسلمت قبل قدوم النبي إلى المدينة، حين نزل (مصعب الخير) على (أسعد بن زرارة) في بني النجار، وهي زوجة (مالك بن النضر) الذي بذلت معه جهداً كبيراً لكي يُسلم، ولكنه رفض ومات على كفره، فتقدم لخطبتها الصحابي الجليل (أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري)، فرفضته لأنه كان لا يزال مشركاً.

(*) لقد قلم الأخ المجاهد الأسير أيمن ققيشة بكتابة كتاب رائع عن (أم سليم) سماه لأكرم النساء مهراً.

(*) راجع الصفحات السابقة.

وقد تميزت (الرميصاء) بأنها كانت حادة الذكاء، بارعة الجمال، قوية الشخصية، ذات شرف في قولها وحسب، فكانت محط أنظار رجال المدينة بعد وفاة زوجها.

كان (أبو طلحة) أحد أشرف المدينة وأكثر أهلها مالاً من نخل، وأحد فرسانها وشجعائها المعدودين، وكان لا يباري في ميدان الرماية، فقد كان رامياً شديداً القد، ورغم هذه الصفات التي تميز بها (أبو طلحة)، إلا أن (الرميصاء) رفضته لأنه يعبد حجراً وصنماً لا يضر ولا ينفع، ولا يؤمن بالدين الذي آمنت به.

زواجها من أبي طلحة الأنصاري:

يقول أنس رضي الله عنه: خطب (أبو طلحة) (أم سليم)، فقالت إنه لا ينبغي أن أتزوج مشركاً! أما تعلم يا (أبا طلحة) أن آلهتكم ينحتها عبد آل فلان، وأنكم لو أشعلتم فيها ناراً لا احترقت؟ قال: فأنصرف وفي قلبه ذلك، ثم أتاها وقال: الذي عرضت عليّ قد قبلت، قال: فما كان لها مهر إلا الإسلام.

وفي رواية للنسائي: عن (أنس) قال: (خطب (أبو طلحة) (أم سليم)، فقالت والله ما مثلك يا (أبا طلحة) يُرد ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك، فإن تسلم فذاك مهري، وما أسألك

الباء به ماله وآل ماله، النموذج المفقود

غيره، فأسلم فكان ذلك مهرها، قال ثابت: فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهرًا من (أم سليم) الإسلام فدخل بها فولدت له⁽¹⁾.

وقد كانت (أم سليم) تنتهز زيارات النبي لبيتها للتبرك بعرقه وشعره ودعائه لأهل بيتها، فقد ذكر (أنس) رضي الله عنه أن النبي دخل عليهم البيت يومًا وما هو إلا أنا وأمي وأم حرام خالتي، فقال: قوموا لأصل بكم، في غير صلاة، فصلى بنا، ثم دعا لنا أهل البيت، فقالت أمي يا رسول الله، خويدمك (أنس) ادع الله له، قال: فدعا لي بكل خير، وكان في آخر ما دعى لي به أن قال: اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيه.

وفي رواية ثانية عن (أنس) رضي الله عنه قال: دخل النبي (ﷺ) على (أم سليم)، فأنته بتمر وسمن، قال: (أعيدوا سمنكم في سقائه وتمركم في وعائه فإنني صائم) ثم قام إلى ناحية من البيت فصلى غير المكتوبة، فدعا لـ (أم سليم) وأهل بيتها، فقالت (أم سليم): يا رسول الله إن لي خويصه، قال: (وما هي)، قالت: خادمك (أنس)، فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا لي به، قال: اللهم ارزقه مالاً وبارك له، فإنني لمن أكثر الأنصار مالاً⁽²⁾.

وكان الرسول (ﷺ) أحياناً ووزيره (الصديق) و(الفاروق) يزورون هذا البيت الأنصاري الكريم، ويصف (أنس) إحدى زيارته فيقول: (أتانا

(1) سعد أبو عزيز، "رجال ونساء حول الرسول"، 454-455.

(2) مختصر صحيح البخاري، التجريد الصحيح رقم 913.

رسول الله (ﷺ) في دارنا هذه فاستسقى، فحلبنا له شاة لنا، ثم شَبَّته من ماء بئرنا هذا فأعطيته، وأبو بكر عن يساره وعمر تجاهه وأعرابي عن يمينه فلما فرغ رسول الله (ﷺ) من شربه قال عمر، هذا أبو بكر فأعطى الأعرابي فضله، ثم قال الأيمنون، الأيمنون ألا فيمنوا⁽¹⁾.

مشاهد رائعة لهذه الأم المتميزة:

عند قدوم النبي عليه السلام إلى المدينة، قام كثير من الأنصار بتقديم أراضيهم وأموالهم لإخوانهم المهاجرين، وأرادت أم سليم أن تواسي المهاجرين، فأخذت ابنها (أنس) وقد قارب الثامنة أو العاشرة من عمره، وقد علمت فطنته وكياسته وحسن أدبه وتحمله للمسؤولية رغم صغر سنه، قذلة: أنيس ابني أتيتك به يخدمك.⁽²⁾

لا تخبرن أحداً بسرّ الرسول (ﷺ):

يقول أنس رضي الله عنه: بعثني رسول الله (ﷺ) في حاجته فأبطأت على أمي، فلما جدت قالت: ما حسبك، قلت: بعثني رسول الله لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر، قالت: لا تخبرن بسر رسول الله أحدا.⁽³⁾

(1) صحيح البخاري رقم 257. فتح الباري 5/515.

(2) مختصر صحيح مسلم.

(3) مختصر صحيح مسلم رقم 1686.

البراء به مالك وآل ملحاه، النموذج المفقود

فأي أم، وأية مربية وأية مدرسة هي (أم سليم)!! تعلم ابنها فضائل الأخلاق وشمائلها، ولم تحاول أن تضغط عليه أو تستدرجه ليؤح بسر النبي (ﷺ) بل شجعت على هذا الخلق العظيم وهو حفظ الأمانة.

(الرميصاء) الزوجة النموذج في صبرها:

هذا موقف آخر من أعظم المواقف التي قرأتها لهذه المرأة المسلمة النقية الطاهرة، والتي تبرز لنا بما لا يدع مجالاً للشك دور المرأة العاملة المجاهدة في الإسلام، والتي غمر الإيمان قلبها، وسمت بروحها من خلال هذه العقيدة الجديدة.

وتبدأ هذه القصة حين رزقت طفلاً جميلاً من (أبي طلحة الأنصاري) قرت به عيونهما وأسمياه (حفص) وكانوا يكونونه تحبباً (أبا عمير).⁽¹⁾ وأخذ (أبو عمير) يكبر بين إخوانه (البراء) و(أنس)، وكان غلاماً مرحاً يحبه (أبو طلحة) كثيراً، ثم كبر حتى فطم، وملاً البيت مرحاً بلثغته المحببة، وملاعبته لعصفور صغير يقتنيه ويسعد به ويعجب بمنقاره الأحمر، وكان النبي (ﷺ) إذا جاء (أم سليم) يمازحه ويضاحكه⁽²⁾ وزارها النبي (ﷺ) قائلاً لها: ما شأني أرى (أبا عمير) ابنك خائر النفس؟ فقالت:

(1) فتح الباري، ج 227/12.

(2) فتح الباري، ج 227/12.

ماتت صعوته التي كان يلعب بها، فقال عليه الصلاة والسلام أي (أبا عمير) مات النغير!!⁽¹⁾ يريد أن يمازحه ويخفف عنه.

وعن أنس بن مالك: أن النبي (ﷺ) كان يزور (أم سليم) ففتحته بالشيء تصفه له، وأخ لي أصغر مني يكنى (أبا عمير) فزارنا يوماً، فقال: (مالي أرى أبا عمير خئر النفس؟). قالت: ماتت صعوة له كان يلعب بها، فجعل النبي يمسح رأسه ويقول: (يا أبا عمير، ما فعل النُّغير؟)⁽²⁾، وهذه من الصفات النبوية الأصيلة في مداعبة الصغير وتوقير الكبير، فحتى هذا الطفل الصغير لم يغفل الرسول (ﷺ) عن نفسيته الصغيرة وأراد أن يمازحه ويلاعبه ويواسيه لموت عصفوره الصغير.

وبدأ الهُزال يدب في جسد (حفص) الصغير، فمرض فحزن (أبو طلحة) عليه حزناً شديداً، فمات و(أبو طلحة) خارج البيت، فوضعت (الرميصاء) الطفل في جانب البيت، فلما جاء (أبو طلحة) قال: كيف الغلام؟ قالت: هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح، وظن (أبو طلحة) أنها صادقة، قال: فبات فلما أصبح اغتسل. فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات، فصلى مع النبي (ﷺ) ثم أخبر النبي (ﷺ) بما كان منهما، فقال الرسول (ﷺ): (لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما).⁽³⁾

(1) مختصر صحيح البخاري، التجريد الصحيح، 1952، ص 493.

(2) رواه البخاري.

(3) مختصر صحيح البخاري، التجريد الصحيح، ص 625.

الباء به ماله وآل مله، النموذج المفقود

قال رجلٌ من الأنصار: فرأيت له تسعة أولاد، كلهم قد قرأ القرآن، وفي رواية جميلة ثانية (لأدس) رضي الله عنه قال: ثقل ابن (أم سليم) فخرج (أبو طلحة) إلى المسجد، فتوفى الغلام، فهيأت (أم سليم) أمره، وقالت لا تخبروه فرجع، وقد سيرت له عشاءه، فتناوله، ثم أصاب أهله، فلما كان من آخر الليل، قالت: يا (أبا طلحة)، ألم تر إلى آل أبي فلان استعاروا عارية فمنعوه، وطلبت منهم، فشق عليهم. فقال: ما أنصفوا، قالت: فإن ابنك كان عارية من الله فقبضه فاسترجع وحمد الله. وفي رواية أنه قال لها (أبو طلحة): تركتني حتى تلطخت والله لأخبرن رسول الله (ﷺ)، فلما أصبح غدا إلى رسول الله (ﷺ) فلما رآه قال: (بارك الله لكما في ليلتكما).

فحملت بـ (عبد الله بن أبي طلحة)، فولدت ليلاً، فأرسلت به معي _أي مع أنس_ وأخذت تمرات عجوة، فأنتهيت به إلى النبي (ﷺ) وهو يهناً ويسمها، فقلت: يا رسول الله ولدت (أم سليم) الليلة، فمضغ بعض التمرات بريقه، فأوجره إياه، فتلطط الصبي، فقال: (حب الأنصار التمر)، فقلت سمه يا رسول الله، قال: هو عبد الله. (1)

قال ابن عباية: فلقد رأيت لذلك الغلام أي (عبد الله) سبع بنين كلهم ختم القرآن.

(1) البخاري ومسلم.

فأيُّ صبرٍ وأيِّ عطاءٍ وتضحيةٍ هذا الذي تميزت به هذه المرأة التي تسمى (أم سليم)، إيمان راسخ بقضاء الله وقدره، وإيمان عميق بالصبر الجميل، الذي قال عنه ابن القيم: (هو خلق فاضل من أخلاق النفس، يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها). وقال ذو النون: (هو التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحة المعيشة).⁽¹⁾

فما أعظم جزاء الصبر في الدنيا والآخرة!، وقد شهد التاريخ الإسلامي نماذج رائعة لأمهات صابرات محتسبات يقدمن أفلاذ أكبادهن فداء للإسلام، وإعلاء لكلمة الله، أمثال الخنساء التي قدمت أبناءها في سبيل الله.

وكذلك شهدنا في فلسطين أمهات يودعن أبناءهن أثناء توجيههم لعمليات استشهادية، بل ويشجعنهم على المضي في هذه الطريق وعدم التراجع أمثال والددة الشهيد (محمد فرحات) ووالدة الشهيد (أحمد صالح) ووالدة القائد المجاهد (محمد الشيخ خليل) التي قدمت أربعة من أبنائها شهداء في سبيل الله، وكذلك والددة الشهيد (طارق دوفش) من الخليل، وقد شهدنا أيضاً في الحرب الأخيرة على غزة 2009/2008 لمهات يفقدن كل

(1) ابن قيم الجوزية، "عدة الصابرين ونخيرة الشاكرين"، 14.

الباء به ماله وآل مله، النموذج المفقود

أولادهن بل وأزواجهن من جراء القصف الصهيوني المدمر وهن صابرات محتسبات.

نسأل الله أن يبارك في هذه النماذج الرائعة ويرزقهن خير الخلف على صبرهن.

مشاهد من جهاد (أم سليم):

عن (أنس) رضي الله عنه قال: إن (أم سليم) اتخذت خنجرًا يوم حنين، فقال (أبو طلحة): يا رسول الله، هذه (أم سليم) معها خنجر، فقالت: يا رسول الله إن لنا مني مشرك بقرت به بطنه.

هذه الحادثة فيها رد واضح على من يدعي أن الإسلام قد حصر دور المرأة في بيتها، تأكل وتشرب وتلد، دون أن تسهم في بناء المجتمع وتنميته، فقد كادت النساء يشهدن الدروس النبوية، كما يشهدن الجمعة والجماعة والعديد مع الرجال، ويسألن في أخص الأمور المتعلقة بالمرأة، ولم يمنعهن لحياء أن يتفقهن في الدين كما قالت عائشة رضي الله عنها، وكتب السنة حافلة بكثير من الأسئلة التي كانت الصحابيات يوجهنها للنبي (ﷺ) منهن من سألت أنفسها، ومنهن من سألت باسم بنات جنسها قائلة أنا وافدة النساء إليك يا رسول الله، وقد طلبت منه أن يجعل لهن يومًا خالصًا ينفردن به دون الرجال؛ ليكون لهن فيه فسحة من الوقت والحرية، ليسألن عما يشأن دون حرج.

يقول الشيخ الغزالي رحمه الله: "وأذكر أن بعض الحراس على تقاليد الجهل ناقشني، وقال: الزوج أو الأب يعلم النساء في البيت، ويعودهن الصلاة داخله، ولا معنى لخروجهن والتعرض للفتنة، قلت إن صاحب الرسالة (عليه السلام) لم يرسم هذه الخطة التي تقترحها فهي مرفوضة من هذه الناحية.

وناحية أخرى، أن هذا الذي ترجوه معطماً بيته يحتاج مثلهم للتعليم، ضعف الطالب والمطلوب.

المرأة الروسية، غزت الفضاء، ويراد أن تعجز المسلمة عن معرفة الطريق إلى المسجد، كل دين في عصرنا مهما بلغ بطلانه ربط النساء بمعابده، ويراد من الإسلام وحده أن ينفي عن بيوت الله والمعالم التي صان الإسلام بها الأعراس ينبغي إبرازها فلا خلاعة ولا تبرج ولا يؤذن بخلوة مع أجنبي، ولا يؤذن بعمل ما يؤدي إلى ذلك، والأعمال الفنية والإدارية التي تقوم بها النساء، وكذلك جميع الثقافات التي يحتجن إليها أو يرغبن فيها يمكن أن توضع لها الضوابط الإسلامية التي تحفظ حدود الله⁽¹⁾، وقد شاركت نساء الصحابة والصحابيات في غزوات الرسول (عليه السلام) (أم عمارة) رضي الله عنها _ و(الرميصاء) كما ذكرنا.

(1) محمد الغزالي، الدعوة الإسلامية، ص76.

البراء بن مالك وآل ملهه، النموذج المفقود

وقد رأينا أيضا في فلسطين وشهنا على المجاهدات اللاتي قد مارسن حقهن في الجهاد والمقاومة بأنفسهن كالمجاهدة (فاطمة الذجار) التي تجاوزت الستين من عمرها حين فجرت نفسها في قوات الاحتلال^(*)، وكذلك عروس فلسطين عروس حيفا، المجاهدة الجهادية (هنادي جرادات) التي فتحت الدنيا لها أذرعها فأبت إلا جوار الله _ عز وجل _ حين فجرت نفسها في قلب حيفا المحتلة فقتلت أكثر من (22) من الصدهانة بجسدها الطاهر، وكذلك الإستشهاديات المجاهدات (دارين أبو عيشة) و(آيات الأخرس) و(عندليب طقاطقة) و(مريم رياشي) و(ميرفت مسعود) إضافة إلى مئات الأسيرات اللاتي حرمن من نسيم الحرية وغيهن الجلاء وراء قضبان القهر والظلام في فلسطين وغيرها. فإذا ما هو الحاجز الذي يمنع نساء الأمة المخلصات أن يكون منهن الفقيهه والأبيرة والعالمة والمجاهدة، ولماذا يفسدن للعلمائيات والمتطاولات على الإسلام وتعاليمه السيطرة على الساحة ليهاجمن الإسلام وعقيدته؟ أين الداعية المسلمة التي تعيش هموم الأمة وقضاياها؟!

(أنس بن مالك) الأنصاري شقيق البطل (البراء بن مالك):

كانا لا يفترقان في ساحة الجهاد بُدًا، غير أن (أنس) اختص بخدمة النبي، و(البراء) استبسل في ساحة الوغى.

(*) قلم المجاهد الأسير جمال الهور بكتابة رواية عنها أسماها أعواد البرتقال.

كان (أنس بن مالك) في عمر الورد حين لقنته أمه (الغميصاء) الشهادتين، وملأت فؤاده الغض بحب نبي الإسلام محمد بن عبد الله _عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام_. فشغف (أنس) به حباً على السماع وكان ينتظر لحظة اللقاء بسيد الأولين والآخرين، وحين قدم المصطفى (ﷺ) إلى المدينة، جاءت به أمه لتقدمه للرسول ليخدمه ويصور لنا (أنس) رضي الله عنه _المشهد فيقول: جاءت بي أُمِّي إلى رسول الله (ﷺ) وقد أُررتني بنصف خمارها ورتنتي فقالت: (أنيس) ابني أتيتك به يخدمك. (1)

فهش النبي (ﷺ) للفتى وبش⁽²⁾، ومسح رأسه بيده الشريفة، ومس ذؤابيه⁽³⁾ بأنامله الندية وضمه إلى أهله وكان (أنس بن مالك) "أنيس" كما كانوا ينادونه تدليلاً في العاشرة من عمره يوم سَعِدَ بخدمة النبي _صلوات الله وسلامه عليه_، وظل يعيش في كنفه ورعايته إلى أن لحق النبي الكريم بالرفيق الأعلى، فكانت مدة صحبته له عشر سنوات كاملات، نهل فيها من هديه ما زكى به نفسه، ووحي من حديثه ما ملأ به صدره وعرف من أحواله وأخباره وأسراره وشمائله ما لم يعرفه أحد سواه. (4)

(1) المنذري، "مختصر صحيح مسلم"، رقم 1684.

(2) هش وبش: فرح به وأقبل عليه بوجه طلق.

(3) خصلة شعره.

(4) عبد الرحمن الباشا، "صور من حياة الصحابة"، ص12.

الباء به ماله وآل مله، النموذج المفقود

ويروي (أنس) رضي الله عنه عن الصور الوضاعة من هذه المعاملة الكريمة التي لقيها في رحاب النبي السمع الكريم (ﷺ).

قال (أنس بن مالك): كان رسول الله (ﷺ) من أحسن الناس خلقاً، وأرحبهم صدرًا، وأوفرهم حنًا، فقد أرسلني يومًا لحاجة فخرجت، وقصدت صبيلاً يلعبون في السوق لألعب معهم، ولم أذهب إلى ما أمرني، فلما صرت إليهم شعرت بإنسان يقف خلفي ويأخذ بثوبي فالتفت فإذا رسول الله (ﷺ) يبتسم ويقول: يا (أنيس) أذهبت حيث أمرتك؟ فارتبكت وقلت: نعم إني ذاهب الآن يا رسول الله. والله لقد خدمته عشر سنين فما قال لشيء صنعت له لم صنعه، ولا لشيء تركته لم تركته؟! (1)

فذاك أبي وأمي يا رسول الله لقد كنت أرحم على أمك من أنفسهم، تداعب الصغير، وتلاطفه، وتحترم الكبير وتوقره، وتواسي الحزين، وتخفف عنه ألمه.

وكان النبي يغدق على (أنس) من نصائحه ومواعظه ما ملأ قلبه وملك لبه، من ذلك قوله له: (يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل، يا بني إن ذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة، يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم يكن

(1) مختصر صحيح البخاري، التجريد الصحيح 1936، ص 491. ورواه مسلم، باب كان الرسول أحسن للناس خلقاً رقم 2309.

بركة عليك وعلى أهل بيتك⁽¹⁾. ولقد ظل (أنس بن مالك) يعيش مع ذكرى رسول الله (ﷺ) ما امتدت به الحياة. فكان شديد البهجة للاقائه سخي الدمعة على يوم فرقه، كثير التردد لكلامه، حريصاً على متابعته في أفعاله وأقواله، يحب ما أحب ويكره ما كره. وكان أكثر ما يذكره من أيامه يومين: يوم لقاءه أول مرة ويوم مفارقتة له آخر مرة.

فإذا ذكر اليوم الأول سعد به وانتشى، وإذا خطر له اليوم الثاني انتحب وبكى وأبكى من حوله الناس. وكثيراً ما كان يقول: لقد رأيت النبي _ عليه الصلاة والسلام _ يوم دخل علينا ويوم قبض ميتاً، فلم أرى يومين يشبهانهما.

ففي يوم دخوله المدينة أضاء فيها كل شيء، وفي اليوم الذي أوشك فيه أن يمضي إلى جوار ربه أظلام فيها كل شيء. وكان آخر نظرة نظرتها إليه يوم الاثنين حين كشفت الستار عن حجرته، فرأيت وجهه كأنه ورقة مصحف، وكان الناس يومئذٍ وقوفاً خلف أبي بكر ينظرون إليه وقد كادوا يضطربون، فأشار إليهم أبو بكر أن لثبتوا، ثم توفي الرسول عليه الصلاة والسلام في آخر ذلك اليوم، فما نظرنا منظراً كان أعجب إلينا من وجهه (ﷺ) حين واريناه ترابه⁽²⁾.

(1) عبد الرحمن الباشا، "صور من حياة الصحابة"، ص13.

(2) ابن حجر العسقلاني، "الإصابة في تميز الصحابة"، 71/1.

البراء بن مالك وآل ملحاه، النموذج المفقود

وكان الرسول (ﷺ) يدعو لـ(أنس) دائماً: (اللهم ارزقه مالاً وولداً وبارك له)، وقد استجاب الله سبحانه وتعالى دعاء نبيه عليه الصلاة والسلام فكان (أنس) أكثر الأنصار مالاً وأوفرهم ذرية، حتى أنه رأى من أولاده وحفنته ما يزيد على المائة، وقد بارك الله له في عمره حتى عاش قرناً كاملاً وفوقه ثلاث سنوات. وكان (أنس) رضوان الله عليه شديد الرجاء لشفاعته النبي (ﷺ) له يوم القيامة، فكثيراً ما كان يقول: "إني لأرجو أن ألقى رسول الله (ﷺ) في يوم القيامة فقول له: يا رسول الله هذا خويديك أنيس".

ولما مرض (أنس بن مالك) مرض الموت قال لأهله: (لقذوني لا إله إلا الله، محمد رسول الله) ثم ظل يقولها حتى مات. وقد أوصى بعصبة صغيرة كانت لرسول الله (ﷺ) بأن تدفن معه فوضعت بين جنبه وقميصه.

هنيئاً لـ(أنس بن مالك الأنصاري) أخى المغوار البطل الشجاع (البراء بن مالك)، على ما أسبغه الله عليه من خير، فقد عاش في كنف الرسول الأعظم (ﷺ) عشر سنوات كاملات، وكان ثالث اثنين في رواية الحديث مع أبو هريرة وعبد الله بن عمر. فجزاه الله خير هو وأمه (الرميصاء) المجاهدة عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

أبو طلحة الأنصاري صوته في الجيش خير من ألف رجل:

اسمه (زيد بن سهل الأسود الخزرجي البخاري)، صاحب رسول الله (ﷺ) ومن بني أخواله، وأحد أعيان البدرين وأحد النقباء الاثنى عشر ليلة العقبة. وهو الذي قال عنه النبي (ﷺ): (صوت أبي طلحة في الجيش خير من مائة)⁽¹⁾ وفي لفظ (خير من ألف رجل).

لقد مثل الإسلام انقلاباً شاملاً في حياته وجعله يعيش العمر كله جندياً للإسلام، يقدم كل شيء لدينه، ولا يتردد لحظة في تطبيق أحكام الله - عز وجل - فمثلاً، كان شرب الخمر عادة جاهلية متأصلة في المجتمع العربي الجاهلي، والتفاخر بشربها يملأ أشعارهم، بل فطرت حياتهم على الماء والهواء والخمر، وكان (أبو طلحة) لا يكفي بمجرد الشرب بل كان بيته بمثابة حانة للخمر قبل أن تنزل آية التحريم - فيشرب بصحبة (أبي عبيدة) و(أبي أيوب الأنصاري) و(أبي بن كعب) و(أبي دجاجة) و(معاذ بن جبل) ويكون ساقينهم (أنس بن مالك) رضي الله عنهم جميعاً، وبدأ القرآن يهيب النفوس لتحريم الخمر قبل أن تنزل آية تحريم الخمر، فكانت المعجزة تكمن بسر آية، حين أمر النبي منادياً فنادي، فخرج (أنس)

(1) أخرجه أحمد في مسنده (203/3)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (4957).

الباء به ماله وآل مله، النموذج المفقود

ليستوضح الخبر، فقال منادٍ ينادي ألا إن الخمر حُرِّمت، فقال أبو (طلحة) لـ(أنس): اذهب فاهرقها.

قال (أنس) فجرت في سكك المدينة⁽¹⁾، ثم قال (أبو طلحة): يا أنس قم إلى هذه الجرار فاكسرها، قال (أنس): فقامت إلى مهراس لنا، فضربت بها بأسفله حتى انكسرت⁽²⁾. ثم قال (أنس): فأراقوا الشراب وتوضأ بعض واغتسل بعض وأصابوا من طيب أم سليم⁽³⁾ وأتوا النبي (ﷺ) فإذا به يقرأ ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَنْزِلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. [المائدة: 90]

لقد قضى الإسلام على ظاهرة الخمر بوضع آيات من القرآن، لأن هؤلاء القوم قد غسلوا أدران الجاهلية من قلوبهم، وأثاروا حياتهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11]، فحصلت ثورة حقيقية بكل ثماط حياتهم وكل ما فطروا عليه، لأن العقيدة قد عالجت كل تفاعلات الماضي، وهذا هو الفرق بين منهج الله ومنهج الجاهلية قديماً وحديثاً في علاج النفس البشرية.

(1) فتح الباري، 161/9.

(2) فتح الباري، 153/15.

(3) فتح الباري، 161/11.

لقد أدركت أمريكا يوماً ما في الخمر من الأضرار الجسيمة المختلفة، وأمنت بذلك إيماناً عقلانياً قائماً على مختلف الأدلة التجريبية والعلمية القاطعة، وأصدت قانوناً يُحريم الخمر ولكن ما الذي تم بعد ذلك؟؟. لم تمض فترة حتى أخذت رؤوس أولئك المقننين أنفسهم تتمايل من ألم الحرمان، ثم ما هو إلا وقت قصير حتى عادوا فنكصوا على أعقابهم، ومزقوا القانون الذي كانوا أصدروه، وراحوا يعكفون على أقذارهم يترعونها من جديد.

أما في مدينة المصطفى (ﷺ) وقبل أربعة عشر قرناً حيث جماعة من الأميين قامت حياتهم منذ أمد طويل على الخمر والشمس والماء والهواء، يقتاتون دنان الخمر كما يقتات الناس زكائب الحنطة، فقد وقعت المعجزة هناك بسر آية واحدة لم تزد على بضع كلمات، ما كان أولئك المؤمنون يسمعونها ويسمعون قول ربهم _ جل جلاله _ في ختامها فهل أنتم منتهون؟ حتى أريقتم الدنان، وحُطمت الأقداح، وتعالى الصيحات لنتهينا يا رب، وفي ساعة واحدة تحولت الخمر من عنصر من عناصر الحياة كانت ضرورتها من ضرورة الشمس والماء والهواء إلى رجس مستقذ (شنيع)، وفي ساعة واحدة نُسخت عادة متمكنة أصيلة كأن لم تكن بالأمس، وكأنه لم تكن لها جذور بعيدة راسخة⁽¹⁾.

(1) محمد البوطي، "من الفكر والقلب".

الباء به ماله وآل مله، النموذج المفقود

فما الفرق بين أمريكا التي آمنت عن تجربة ودراية وعلم، وبين أصحاب رسول الله (ﷺ) الذين استقبلوا الأمر تلقائياً، وآمنوا به غيباً؟ هناك يقين فكري أعزل لا تشليعه النفس، ولا يؤيده الهوى. وهنا شيء وقر في القلب بعد أن استقر في الفكر والقلب، وهما سيّداً هذا الكيان الانساني كله، يقوده كما يحب وفي السبيل التي تريد.

لقد استخدمت أمريكا في فرض قانونها عام 1919 الذي سُمّي قانون (الجفاف) جميع وسائل النشر والإذاعة والسينما والمحاضرات في الدعاية ضد الخمر، بما يزيد عن ستين مليوناً من الدولارات، وعشرة ملايين صفحة وقد أعدم فيها (300) نفس وسجن (532225) نفساً وبلغت الغرامات (16) مليون حينه، وصادرت من الأملاك ما يبلغ (400) مليون وأربعة بلايين حينه، وبعد ذلك كله اضطرت إلى التراجع وإلغاء القانون⁽¹⁾.

ولنعود من جديد إلى (أبي طلحة) لنعيش من بعد حياته، كان لـ(أبي طلحة) مال ونخل كثير، وكان أحب ماله إليه (ببرحاء) وكان النبي يدخلها ويشرب منها ومن طيب مائها فلما نزلت آية ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:92]، قام (أبو طلحة) إلى رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله إن الله يقول ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب

(1) أبو حسن الندوي، "ماذا خسر العالم من انحطاط المسلمين".

أموالي إليّ بيرحاء وإنها صدقة لله وأرجو بها برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله (ﷺ): (بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت وإنني أرى أن تجعلها في الأقربين). فقال (أبو طلحة): ففعل يا رسول الله، فقسمها في أقاربه وبني عمه⁽¹⁾.

وفي مجال الجهاد كان (أبو طلحة الأنصاري) بارعاً في الرماية ويمتلك عزيمة وإرادة وصدق ومضاء وتجرد لله _ سبحانه وتعالى _، فكان النبي (ﷺ) يمتدح شجاعته فيقول: (لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل)⁽²⁾. فإذا كان هكذا صوته فكيف سيفه ورمحه وسهامه؟! فقد شهد مع النبي المشاهد كلها وكان من الرماة الماهرين. ويوم أحد كان (أبو طلحة) بين يدي النبي يدافع عنه، وكان رجلاً رامياً شديداً القلب، يكسر يومئذ قوسين أو ثلاثة، وكان بعض الفارين من الصحابة يمرون أمام النبي ومعهم الجعبة (الكنانة) من النبل، فيقول النبي (ﷺ) انثرها لـ (أبي طلحة) وكان النبي (ﷺ) ينظر إلى القوم، فيقول (أبو طلحة): يا نبي الله بأبي أنت وأمي، لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك⁽³⁾.

(1) مختصر صحيح البخاري، التجريد الصريح، رقم 76.

(2) سبق تخريجه.

(3) مختصر صحيح البخاري، التجريد الصريح، 1495.

البراء بن مالك وآل ملهه، النمذح المفقود

وشهد (أبو طلحة) غزوة حنين وثبت مع النبي (ﷺ) إلى جانب (أم سليم) التي كانت تعاني شهور حملها الأخير بعبد الله. ونادى مناد رسول الله (ﷺ) في المسلمين يوم حنين: (من قتل كافراً فله سلبه). فقتل (أبو طلحة) يومئذ عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم.⁽¹⁾

وبعد وفاة النبي روى (أنس) أنه لما قبض النبي لم أره مفطراً إلا يوم فطر أو أضحي⁽²⁾، واستمر صائماً عشرين عاماً ومن ثم عاوده الحنين في آخر عمره للجهاد، وتاقت نفسه لصليل السيف، وهتاف التكبير، وساحات الوغى، فلم يقعه الكبر أو المرض عن النهوض للجهاد، فقرأ قول الله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: 41]، فطلب من أهله وأبنائه أن يجهزوه، فركب البحر فمات (أبو طلحة) الأنصاري فلم يجدوا له جزيرة يدفونه فيها إلا بعد ستة أيام، فلم يتغيرن فدفنوه فيها⁽³⁾، وكادت وفاته رضي الله عنه في العام الحادي والثلاثين للهجرة في خلافة عثمان رضي الله عنه.

(1) فتح الباري، 360/8.

(2) مختصر صحيح البخاري، التجريد الصريح، 1164.

(3) أيمن قفيشة، "أكرم النساء مهراً".

رحمك الله يا (أبا طلحة)، يا صاحب الهمة العالية والنفس التواقفة.
هؤلاء هم صحابة محمد (ﷺ) الذين نقلوا لنا أمانة الرسالة، وكنسوا خلال
سنوات معدودة إمبراطورتي فارس والروم، وكما قال الشاعر الباكستاني
(محمد إقبال):

كنا جبلاً في الجبال وربما	سرنا على موج البحار بحارا
بمعبد الإفرنج كان آذاننا	قبل الكتائب يفتح الأمصارا
كنا نرى الأصنام من ذهب	فنهدهما ونهدم فوقها الكفارا
لم تنس أفريقيا ولا صحراؤها	سجداتنا والأرض تقذف النارا
ندعوا جهاراً لا إله سوى الذي	خلق الوجود وقدر الأقدار
أرواحنا يا رب فوق أكفنا	نرجو ثوبك مغتماً وجوارا

سلامٌ عليك (أبا طلحة) جندياً في جيش المصطفى (ﷺ)، وسلامٌ عليك
جندياً وبطلاً وقائداً، سلامٌ عليك يا من كنت مشعلاً مضيئاً يزود عن حمى
الإسلام ورسالته، فحينها كان الإسلام ينشر النور والعدل في كل مكان
وصلت أقدام أبنائه إليه، ووالله ما تأخرت الأمة إلا بعد أن قدّمت الإيماعات
وأخرت الثقة، وقاد المخنثون رحي المعارك.

أم حرام بنت ملحان، الأنصارية الشهيدة:

أخت (أم سليم)، كانت تمتزج معها في روح واحدة وتسكنان بيتاً واحداً، وخالة البطل المغوار (البراء بن مالك) وزوجة (عبادة بن الصامت).

وبيت (آل ملحان) من بيوت (آل النجار) من الأنصار، فهم صفوة الصفوة في المدينة، وحبهم علامة الإيمان، يقول النبي (ﷺ) عن حب الأنصار: (آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بُغض الأنصار)⁽¹⁾، وفي روية ثانية: (لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق ومن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله)⁽²⁾.

ورأى النبي (ﷺ) الأنصار مقبلين من عرس فقام فقال: اللهم أنتم من أحب الناس إليّ، قالها ثلاث مرات⁽³⁾. أما بنو (النجار) ومنهم (آل ملحان) فهم خير بيوت الأنصار بشهادة النبي لهم بقوله: (إن خير دور الأنصار دار بني النجار، ثم بني الأشهل ثم دار بني الحارث بن الخزرج ثم بني ساعد وفي كل دور الأنصار خير)⁽⁴⁾، وهم أحوال جد النبي (ﷺ) عبد المطلب ومن الإشارات على شدة حب النبي لبني (النجار) أنهم سألوه أن

(1) مختصر صحيح البخاري، التجريد الصريح 17 ومسلم 74.

(2) صحيح مسلم، ص50، باب 33، رقم 128.

(3) مختصر صحيح البخاري، التجريد الصريح، رقم 17.

(4) التجريد الصريح، رقم 1487.

يقيم لهم نقيباً بعد وفاة نقيبهم أسعد بن زرارة، فقال أنتم أخوالي، وأنا بما فيكم، وأنا نقيبكم فكان هذا من فضل بني النجار⁽¹⁾.

و(أم حرام) تَكُنْتُ بذلك على اسم أخيها (حرام) وكذلك أختها (أم سليم) على اسم أخيها (سليم)، اللذين كان لهما قصة استشهاد هي من أروع ما يُروى في حب الدعوة والإخلاص لها واسترخص الروح في سبيلها.

حيث يقول (أنس) رضي الله عنه: جاء ناسٌ إلى النبي (ﷺ)، فقالوا: أن ابعت معنا رجلاً يُعلموننا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء فيهم خالي (حرام)⁽²⁾، ثم قال: فلما قدموا قال لهم خالي (حرام): أقدمكم فإن أمتوني حتى أبلغهم عند رسول الله (ﷺ) وإلا كنتم مني قريباً، فتقدم فأمتوه، فبينما يحثهم عن النبي (ﷺ) إذا أومأوا إلى رجل منهم فطعنه، فأنفذه، فقال: الله أكبر فزت ورب الكعبة، ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوه إلا رجلاً أعرج صعد الجبل. فأخبر جبريل عليه السلام النبي (ﷺ) أنهم لقوا ربهم، فرضي عنهم وأرضاهم فكلنا نقرأ، أن بلغوا قومنا، أن قد لقينا ربنا، فرضي عنا وأرضانا، ثم نسخ بعد، فدعا عليهم أربعين صباحاً على رعل وذكوان وبني لحيان وبني عصىة النين عصوا الله - تعالى - ورسوله⁽³⁾.

(1) ابن كثير، "البداية والنهاية"، 71/4.

(2) أيمن ققيشة، "أكرم الناس مهراً".

(3) مختصر صحيح البخاري، التجريد الصريح، 1153.

الباء به ماله وآل ملحاه، النموذج المفقود

وننظر إلى كلمة (حرام) فزت ورب الكعبة، وتخضب وجهه بدمه الطهور فرحاً بالشهادة. فنجدها كلمة صدق خرجت من قلب مجاهد طال انتظاره للشهادة ففرح بها أشد الفرح فكأنما هو يلون وجهه بالدم القاني طمعاً في أن يلقي الله فيقول: يا رب، هذا دمي أريق في سبيل ابلاغ كلمة نبيك ودينك ودعوتك.

وأما قاتل (حرام) الذي طعنه بالحربة من ظهره ويُدعى (جبار الكلابي) فقد عجب لكلمة حرام "فزت ورب الكعبة" ثم سأل (جبار) بعد ذلك: ما معنى قوله؟ قالوا: يعني فزت بالجنة، قال: صدق والله، ثم أسلم بعد ذلك لذلك.

أمّا أخته (أم حرام) فقد عاهدت الله عند سماع استشهاد أخويها (حرام) و(سليم) أن تلحق بهم في الجنة، فكانوا ثلاثة شهداء من (آل ملحان) بعد مسيرة طويلة لـ(أم حرام) لحقت بأخويها في الشهادة.

وذكر (أنس) أن رسول الله (ﷺ) حزن حزناً شديداً على مقتل القراء حيث قال: (فنت رسول الله (ﷺ) شهراً حين قتل القراء، فما رأيت رسول الله (ﷺ) حزن حزناً قط أشد منه).⁽¹⁾

وكان الأخوان (حرام) و(سليم) قد شهدا غزاة بدر مع النبي وشهدا (أبو طلحة) و(أنس) الذي كان غلاماً يخدم النبي.

(1) فتح الباري، 516/3.

جهاد (أم حرام) وزوجها عبادة بن الصامت:

عن (أنس بن مالك) رضي الله عنه قال: حدثني (أم حرام) بنت (ملحان) أن رسول الله (ﷺ) قد قال في بيتها (أي نام وقت الظهيرة) فاستيقظ وهو يضحك، فقلت: يا رسول الله ما أضحكك؟ قال: (عرض علي ناس من أمتي يركبون ظهر هذا البحر كالملاك على الأسرة). قلت: يا رسول الله أن يجعلني منهم. قال: (أنت من الأولين؟!).

تزوجها (عبادة بن الصامت)، الفقيه المجاهد، فهو أحد نقباء الأنصار، وممن شهد البيعتين وبدراً وأحداً واستعمله النبي (ﷺ) على الصدقات لأمانته، فكان لها نعم الزوج والرفيق في الجهاد، وشاركته غزوة الخندق والمشاهد كلها. وبعد القضاء على الردة في الجزيرة، مضت (أم حرام) مجاهدة مع (عبادة) إلى الشام، وبعد معركة اليرموك، أمره (أبو عبيدة) على حمص، وبنى (عبادة) رضي الله عنه مسجداً جامعاً للمسلمين في اللاتقية عند فتحها⁽¹⁾.

وكان الفاروق (عمر) يعرف قدر صحابة رسول الله، ويقدر جهادهم وشجاعتهم، وعندما أبطأ عليه فتح مصر بقيادة (عمرو بن العاص) كتب إليه يقول: أما بعد، فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر تقاتلونهم من سنين وما ذلك إلا لما أحنتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم، وإن الله لا

(1) ابن الأثير، "الكامل في التاريخ"، 343/2.

البراء به ماله وآل مله، النموذج المفقود

ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم، وإنني قد أمددتكم بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم مقام الألف، (الزبير بن العوام) و(المقداد بن الأسود بن عمرو) و(عبادة بن الصامت) و(مسلمة بن مخلد)، وأعلم أن معك اثني عشر ألف رجل ولا يُغلب اثنا عشر ألفاً من قلة⁽¹⁾.

استشهادها قرب قبرص في البحر:

في سنة سبع وعشرين للهجرة غزا (معاوية بن أبي سفيان) _ رضي الله عنه _ البحر، وكان أميراً للجيش أثناء خلافة (عثمان بن عفان) _ رضي الله عنه _، وكان في الجيش (عبادة بن الصامت) وزوجته (أم حرام) رضي الله عنهما جميعاً وكانت وجهة الجيش جزيرة قبرص، فلما رجعوا قُربت لها بغلة لتركبها فصرعتها فدقت عنقها، فماتت _ رضي الله عنها _ شهيدة⁽²⁾.

رحم الله الشهيدة (أم حرام) وأسكنها فسيح جناته، وجمعنا بها وبكل أمهات المؤمنين وصحابة وصحبايات رسول الله في الجنة، حول الحوض الشريف، لنشرب من يده الشريفة شربة لا نظماً بعدها أبداً.

(1) من حديث طويل أخرجه ابن عبد الحكم عن زيد بن أسلم، وزيد ضعيف كما في ميزان الاعتدال للذهبي.

(2) رواه البخاري ومسلم.

والله إن المرء ليعجب من هذه العائلة الكريمة المجاهدة التي يحتار المرء عن القدوة فيهم، والنموذج الذي تميز عن غيره. فكل عائلة (آل ملحان) وأبنائهم وأصهارهم يصح أن يكون قدوة. وما زال قبر المرأة الصالحة (أم حرام) حتى الآن في قبرص في دلالة على قدم وعرفقة الوجود الإسلامي في هذه الجزيرة التي نسأل الله أن تعود إلى ديار الإسلام. آمين.

أنس بن النضر، عم البراء بن مالك:

لَّهُ أَحَدُ فِرْسَانَ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ صَدَقُوا اللَّهَ بِجِهَادِهِمْ وَفِدَائِهِمْ وَتَضَحِيَّاتِهِمْ، فَصَدَقَهُمُ اللَّهُ بِأَنْ اخْتَارَهُ عِنْدَهُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنْزَلَ قُرْآنًا يُتْلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِنَّهُ (أَنْسُ بْنُ النَّضْرِ) الْأَنْصَارِيُّ وَعَمُّ الْفَارِسِ الْمَغَوَّارِ وَالشَّجَاعِ وَالْمُقَدَّامِ (الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا، وَأَخُ الصَّحَابِيَّةِ الْمَجَاهِدَةِ (الرُّبَيْعُ بِنْتُ النَّضْرِ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَعَلَيْهِ سُمِّيَ (أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ) تَيْمَنًا بِعَمِّهِ (أَنْسُ بْنُ النَّضْرِ).

تَغْيِبُ (أَنْسُ بْنُ النَّضْرِ) عَنْ بَدْرِ الْكَبْرَى لِأَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ لِمَلَاقَاةِ قُرَيْشٍ أَوَّلِ الْأَمْرِ، وَلَمْ يَسْتَغْفِرِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا لِلْخُرُوجِ مَعَهُ لِعَدَمِ تَوَقُّعِ حُصُولِ قِتَالِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، وَعِنْدَمَا عَادَ الرَّسُولُ (ﷺ) مِنْ غَزْوَةِ بَدْرِ مُنْتَصِرًا، وَقَدْ تُعْمِ اللَّهُ عَلَيْهِ بِأَكْثَرِ مِنْ سَبْعِينَ مُشْرِكًا أُسِيرًا، فَرَسَخَتِ الثِّقَةُ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، إِذْ اسْتَطَاعَتْ ثُلَّةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ

البراء بن مالك وآل ملحان، النموذج المفقود

والأنصار والذي غرس المصطفى (ﷺ) عقيدة التوحيد في قلوبهم أن تسحق صناديد قريش، وتقتل قانتها، وتحقق النصر الأول للإسلام.

وحين شاهد (أنس بن النضر) رضي الله عنه _ هذا المشهد المهيّب بكى على عدم مشاركته للرسول المصطفى _ عليه أفضل الصلاة والتسليم _ في أول المشاهد، وينال شرف هذه المعركة والغزوة الأولى وهذا الانتصار العظيم، قد عاهد الله عهداً صاتقاً لأنه شهد مع الرسول غزوة ثانية ليرين الله ما يصنع، وجاءت أحد والبطل ينتظر هذه الفرصة ليوفي بعهده، وينتصر لدينه، وأخذ يشق الصفوف بسيفه وكان من الذين ثبتوا حول الرسول (ﷺ) حين نزل الرماة عن الجبل مخالفة لأمر النبي (ﷺ) ووقع المسلمون في محنة وضيق، وبعد انتهاء المعركة وحين كان المسلمون يجمعون شهداءهم وجدوا البطل الشجاع (أنس بن النضر) وبه بضع وثمانون ضربة من بين سهم أو رمح، والبسمة ترتسم على وجهه الطاهر، ولم يعرفه أحد إلا أخته (الرّبيع) من علامة أو بنانة في يده⁽¹⁾، وقد ذكر لنا (أنس بن مالك) قصة عمه فقال: غاب عمي (أنس بن النضر) رضي الله عنه _ عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبت عن أول لقاء قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم اني اعذر إليك مما صنع

(1) العلامة كانت عبارة عن شامة في يده.

هؤلاء _ يعني أصحابه _ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء _ يعني المشركين _، ثم تقدم فاستقبله (سعد بن معاذ) فقال: يا (سعد بن معاذ) الجنة ورب النضر، أي أجد ريحها من نون أحد، قال (سعد): فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال (أنس): فوجدنا بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانة، قال (أنس): كنا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه. ⁽¹⁾ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23]

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية أنه بعد أن أشيع نبأ قتل النبي (ﷺ)، وأحس بعض المسلمين بعدم جدوى القتال، انتهى (أنس بن النضر) إلى (عمر بن الخطاب) و(طلحة بن عبد الله) في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم فقال: فما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله، فقال: فما تصنعون بالحياة من بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله (ﷺ) ⁽²⁾. وأما الفاروق (عمر) رضوان الله عليه فقد ظلت كلمات (أنس) ملازمة لذاكرته العمر كله، ونشده يرويها في آخر سنوات خلافته بعد قرابة العقدين من الزمن، وقد كانت سياسة (عمر) توزيع المال

(1) مختصر صحيح البخاري، التجريد الصحيح، 1156.

(2) البداية والنهاية، 134/4.

البراء بن مالك وآل ملحان، النموذج المفقود

على المسلمين أن يقدم الناس حسب بلائهم في الإسلام وهجرتهم وشهودهم المشاهد وسبقهم في الدين، فكان يزيد في عطاء (أسامة بن زيد بن حارثة)، و(عمر بن أبي سلمة) و(النضر بن أنس النضر) فاعترض (طلحة بن عبيد الله) لدى (عمر بن الخطاب) لزيادته في عطاء (النضر بن أنس) على عطاء ابن أخيه (عثمان بن عفان) فقال الفاروق: (إني لقيت أبا هذا يوم أحد فسألني عن رسول الله ﷺ) فقلت: ما أظنه إلا قد قُتل فسل سيفه وسد زندا وقال: إن كان رسول الله ﷺ قد قتل فإن الله حي لا يموت فقاتل حتى قتل، وهذا يرعي الغنم فتريدون أن أجعلهما سواء؟!⁽¹⁾.
لقد صدق (ابن النضر) مع الله فصدقه، نسأل الله أن يجمعنا مع الصائقين والصالحين والشهداء ومع الذين أنعم الله عليهم ورضي عنهم وحسن أولئك رفيقا.

نماذج من رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه:

لقد شهد التاريخ الاسلامي الكثير من النماذج المشرقة، والصور المضيئة من المجاهدين، الذين عاهدوا الله على السير في طريق الجهاد والمقاومة، طريق ذات الشوكة، طريق أصحاب الرسالات الكبيرة وأصحاب الفكرة والرسالة والمنهج، وأصحاب العقيدة السليمة، الذين وقفوا

(1) أيمن قفيشة، "أكرم النساء مهراً".

أمام الطغيان والظلم بكل شجاعة وبطولة وإقتدار، حاملين هم الدعوة وواجب الجهاد، دون أن يتراجعوا أو يصيبهم الوهن أو الضعف أو التقاعس أو التخاذل. حيث حدثنا التاريخ عن سيرة الصحابة العظماء، الذين نهلوا من مشكاة النبوة، ونقلوا لنا أمانة الرسالة، ونشروا العدل والنور، وكذلك التابعين الذين أكملوا الأمانة، ووقفوا في وجه انحرافات السلطان والنظام، أمثال (سعيد بن جبير) و(أحمد بن حنبل). واستمرت المسيرة المضيئة فحمل لنا التاريخ أخبار (العز بن عبد السلام) بائع الأمراء، والشيخ (قطز) بطل ملحمة عين جالوت، و(ابن النحاس) صاحب مشاريع الأشواق، و(صلاح الدين) وغيرهم.

وقد شاهدنا في مطلع القرن الماضي والحالي الكثير من القصص المشرقة، التي أضاءت سواد الوقع المؤلم، وحاولت أن تنتصر على إمكان الوقع بتقديم الواجب، رغم قلة الناصر والمعين، أمثال الشيخ المقاتل (عمر المختار) الذي أذاق الغزاة ويلات المصير، حين تصدى لهم بجهاده وصبره وثباته في صحراء ليبيا وجبالها أكثر من عشرين سنة متواصلة، وكذلك الشيخ المقاتل المجاهد (عز الدين القسام) الذي رفض فكرة الحدود الوهمية والمصطنعة، حين شعر أن الدائرة قد ضاقت وأققدته قدرة الجهاد في سوريا بعد معركة ميسلون الشهيرة، فقدم إلى فلسطين محرصاً وخطيباً وواعظاً، يجمع شتات التفرق، ويجذب المجاهدين، ويدربهم ويبيع مصاغ زوجته ليشتري سلاحاً لإخوانه، حتى روى بدمائة

البراء به مالك وآل ملهه، النمذح المفقود

الزكية الطاهرة ثرى جنين القسم، ويبقى اسمه حاضراً ملهماً لكل المجاهدين العاشقين لفلسطين.

لقد قدم شعبنا الفلسطيني آلاف الشهداء الأبطال، الذين تركوا أثراً كبيراً عبر مسيرة العطاء والمقاومة وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، فصدقهم الله بأن اختارهم شهداء، ومنهم من ينتظر يعيش ألم القيد ومرارة السجن أو غربة الأبعاد.

فكان في مقدمة هؤلاء الشهيد المفكر المعلم الدكتور (فتحي الشققي)، صاحب فكرة تقديم الواجب على الإمكان وواجب الجهاد والدفاع عن مقدسات المسرى الحبيب المصطفى (ﷺ)، وجالد سيف المحتل بدمه الطاهر ودماء إخوانه ممن حملوا عبء الأمانة، وتنقل من مكان إلى آخر ينشر فكر الجهاد ويشعل جذوة المقاومة فذاق مرارة السجن وألم الإبعاد، حتى كان على موعد مع الشهادة ومع الوفاء بالعهد والوعد مع الله، وكأنه يرى بنور الله حين أجاب على سؤال الصحفيين قبل استشهاده بأيام بأن العدو يهدد باستهدافك واغتيالك رداً على ما يقوم به تلاميذك من أعمال جهادية مباركة، نتيجة ما زرعه من فكر متميز في عقولهم فأجاب: (حارس العمر الأجل، لقد عشت أكثر مما أتوقع.. الشهادة حلمي منذ الصغر). وكأنه كان يدرك أن لقاء الله قريب وأنه على موعد مع الشهادة، فخرج في مهمة يدافع خلالها عن حقوق شعبنا في المهجر ويطوف البلاد شرقاً وغرباً، فلحق به صعلوك حاقد من القوم الذين لعنوا على لسان

(داوود) و(عيسى بن مريم) فاغتاله في جزيرة مالطا، وعينه ترنو إلى السماء وتعلو وجهه لبتسامة الولايق بعاقبة المصير، أما قاتله فقد أرسل الله له جندياً من جنوده فأكله تمساح في بحيرة في أمريكا وهو يستجم بعد سبعة شهور فقط. (من عاى لي ولياً آذنته بالحرب).

وكذلك الشيخ المجاهد الجليل لمقعد الذي انتصر على ألمه وجسده النحيل الضعيف المشلول حين قام بثورة التغيير والإعداد، وزرع مبادئ الإسلام الخالص في نفوس وسلوك آلاف الشباب الصادق وهو على عربته الصغيرة. ولكن كانت هموم الرسالة طاغية في حركته على همه الشخصي فأصبح ملهماً، ونموذجاً للمجاهدين في فلسطين، حتى أصبح جسده الضعيف وكرسیه المتحركة مصدر إزعاج وقلق لدوائر العدو، فسجنوا هذا الجسد وبقيت روحه وفكره لهباً مسلطاً من أتباعه على أعداء الله، وبعد خروجه من السجن استمر في جهاده حتى كان مواعده مع الشهادة. حين سأل أحد الإعلاميين عن رغبته وحاجته الذاتية، فقال: (أملئ أن يرضى عني ربي). وبعد أيام قليلة وفي لحظة صدق وعهد مع الله، كانت طائرات العدو تلاحق هذا الجسد الضعيف وتستهدفه بصواريخها بعد خروجه من صلاة الفجر مباشرة، فارتقى هذا الجسد النحيل الضعيف إلى العلاء وبقي فكره وكرسیه المتحرك شاهداً على إجرام هذا العدو.

فسلام عليكم في الأولين وسلام عليكم في الآخرين.

الفصل الرابع

جهاد البراء بن مالك

البراء بن مالك، قصة جهاده:

لم تذكر كتب التاريخ عن جهاد (البراء بن مالك) في عهد النبي (ﷺ) سوى أنه شهد لمشاهد كلها، وقد ركزت كتب التاريخ في هذه المرحلة عن الحديث عن جهاد (آل ملحان) وفضلهم ومكانتهم عند النبي (ﷺ)، وقد تحدثت سابقاً عن هذه العائلة المجاهدة.

أما الحديث الذي تنتعش به النفس عن جهاد (البراء بن مالك) رحمه الله فإن هذه القصة تبدأ منذ الساعات الأولى لوفاة النبي الكريم (ﷺ)، والتحلقه بالرفيق الأعلى، وتولي الخليفة الراشد الأول (أبو بكر) الصديق إمامة الأمة، حين ارتد من ارتد من الناس، وطفقت قبائل العرب تخرج من دين الله أفواجا، وأطلت الفتنة برأسها وتحركت كالسيل الجارف تريد محو معالم هذا الدين المبارك، حتى لم يبق على الإسلام إلا أهل مكة والمدينة والطائف وجماعات متفرقة هنا وهناك ممن ثبت الله قلوبهم على الإيمان.

صمد الصديق _ رضوان الله عليه _ لهذه الفتنة المدمرة العمياء صمود الجبال الراسيات وجهاز من المهاجرين والأنصار أحد عشر جيشاً، وعقد لقادة هذه الجيوش أحد عشر لواءً، ودفع بهم في أرجاء جزيرة العرب؛ ليعيدوا المرتدين إلى سبيل الهدى والحق، فأخمد الفتن وظهر أمر الله وهم كارهون.

كان أقوى المرتدين بأساً وأكثرهم عدداً بنو (حنيفة) أصحاب (مسيلمة الكذاب)⁽¹⁾، فقد اجتمع لـ (مسيلمة) من قومه وحلفائهم أربعون ألفاً من أشداء لمحاربين، وكان أكثر هؤلاء قد اتبعوه عصبية له لا إيماناً به، فقد كان بعضهم يقول أشهد أن مسيلمة كذاب ومحمداً صادق.

لكن كذاب ربيعة⁽²⁾ أحب إلينا من صادق مضر⁽³⁾. هزم (مسيلمة) أول جيش خرج إليه من جيوش لمسلمين بقيادة (عكرمة بن أبي جهل) وردّه على أعقبه⁽⁴⁾، فأرسل له (الصديق) جيشاً ثانياً بقيادة (خالد بن الوليد) حشد فيه وجوه الصحابة من الأنصار والمهاجرين، وكان في طليعة هؤلاء (البراء بن مالك) الأنصاري ونفر من كرامة المسلمين⁽⁵⁾.

(1) عبد الرحمن الباشا، "صور من حياة الصحابة".

(2) ربيعة: قبيلة كبيرة من قبائل العرب ينتمي إليها مسيلمة.

(3) مضر: قبيلة رسول الله ﷺ.

(4) عبد الرحمن الباشا، "صور من حياة الصحابة"، ص53 وص117.

(5) المصدر نفسه، ص53.

البراء به مالك وآل ملهه، النمذخ المفقود

وكانت موقعة اليمامة التي دارت رحاها بين المسلمين وجيش (مسيلمة) الكذاب من أقوى المعارك التي دارت بين جند الرحمن وجند للشيطان، فما هو إلا قليل حتى رجحت كفة (مسيلمة) وأصحابه، وزلزلت الأرض تحت أقدام جنود المسلمين، وطفقوا يتراجعون عن مواقعهم حتى اقحم أصحاب (مسيلمة) فسطاط (خالد بن الوليد)، واقتلعوه من أصوله، وكادوا يقتلون زوجته لولا أن أجارها واحد منهم. وكان يوم اليمامة مشهوداً للأنصار استشهد فيه سبعون منهم، وأبدوا شجاعة وفداية مشهودة في المعركة.

صور مشرقة من موقعة اليمامة:

وهب (خالد بن الوليد) إلى جيشه، فأعاد تنظيمه حيث ميز المهاجرين عن الأنصار، وميز أبناء البوادي عن هؤلاء وهؤلاء. وجمع أبناء كل أب واحد تحت راية واحدة منهم ليعرف بلاء كل فريق في المعركة، وليعلم من أين يؤتى المسلمون ودارت بين الفريقين رحى معركة ضروس، لم تعرف حروب المسلمين لها نظيراً من قبل، وثبت قوم (مسيلمة) في ساحات الوغى ثبات الجبال الراسيات، ولم يأبهاوا لكثرة ما أصابهم من القتل. وأبدى المسلمون من خوارق البطولات ما لو جُمع لكان ملحمة من أروع الملاحم.

فهذا (ثابت بن قيس) حامل لواء الأنصار، يتحفظ ويتكفن ويجهز لنفسه حُفرة في الأرض، فينزل فيها نصف ساقبيه ويبقى ثابتاً في موقعه ويجالد عن راية قومه حتى خر صريعاً شهيداً.

وهذا (زيد بن الخطاب) أخو الفاروق (عمر) رضي الله عنهما ينادي في المسلمين: (أيها الناس عضوا على أضراسكم، اضربوا في عدوكم، وامضوا قدما... أيها الناس والله لا أتكلم بعد هذه الكلمة أبداً حتى يُهزم (مسيلمة) أو ألقى الله فأدلي الله بحجتي). ثم كرر على القوم فما زال يُقتل حتى قتل.

وهذا (سالم) مولى (أبي حنيفة) يحمل راية المهاجرين فيخشى عليه قومه أن يضعف أو يتزعزع، فقالوا له: إنا لنخشى أن تؤتي من قبلك، فقال: إن أُتيت من قبلي فبئس حامل القرآن أكون.

البراء بن مالك، أسطورة الإمامة:

رغم البطولات السابقة التي تقف النفس لها مهابة إلا أنها جميعاً تتضاءل أمام بطولة (البراء بن مالك) رضي الله عنه وعنهم أجمعين. ففي هذه المعركة سطع نجم (البراء بن مالك)، وسطر أروع المواقف في حياة أمته وملته ويوماً مشهوداً لفدائيته وعطائه وذلك أن (خالد بن الوليد) حين رأى وطيس المعركة يحمي ويشد التفت إلى (البراء)، وقال إليهم يا فتي الأنصار. فالتفت (البراء) إلى قومه وقال: يا معشر الأنصار،

البراء به مالك وآل ملهه، النمذح المفقود

لا يفكرن أحد منكم بالرجوع إلى المدينة فلا مدينة لكم بعد اليوم، وإنما هو الله وحده، ثم الجنة). وعن (أنس) قال: إن (خالد بن الوليد) قال لـ(البراء) رضي الله عنهما_ يوم اليمامة، قم يا (براء)، قال: فركب فرسه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل المدينة لا مدينة لكم بعد اليوم، وإنما هو الله وحده، والجنة، ثم حمل وحمل الناس معه، فانهزم أهل اليمامة فلقى (البراء) رضي الله عنه محكم اليمامة، قائد جيش (مسيلمة)، فضربه (البراء) وصرعه فأخذ سيف محكمة اليمامة فضرب به حتى انقطع⁽¹⁾.

وعند البغوي، عن (البراء) رضي الله عنه، لقيت يوم (مسيلمة) رجلاً يقال له "حمار اليمامة" رجلاً جسيماً بيده سيف أبيض فضربت رجله فكأنما أخطأته وانقعر_ أي قطع من أسفله_ فوقع على قفاه فأخذت سيفه وأغمدت سيفي فما ضربت به ضربة حتى انقطع⁽²⁾.

وتقدم (البراء) في أربعمئة أنصاري فما صمد أمامهم أحد. يقول (أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه_ في وصف كتيبة الأنصار هذه، سمعت (عباد بن بشر) رضي الله عنه_ يقول: (يا أبا سعيد رأيت الليلة كأن السماء قد فرجت لي، ثم أطبقت علي فهي إن شاء الله الشهادة). قال (أبو سعيد): قلت: خيراً، والله رأيت فانظر إليه يوم اليمامة، وإنه يصيح

(1) محمد الكاندهلوي، "حياة الصحابة"، 2، 127.

(2) ابن حجر العسقلاني، "الإصابة في تمييز الصحابة"، 1، 143.

بالأنصار حطموا جفون السيوف وتميزوا عن الناس، وجعل يقول (أخلصونا)⁽¹⁾، فاخلصوا أربعمائة رجل من الأنصار، لا يُخالطهم أحد يقدمهم (عباد بن بشر) و(أبو دجانة) _سماك بن خرشة*_، و(البراء بن مالك) حتى انتهوا إلى باب حديقة الموت، قاتلوا أشد القتال. وقتل (عباد بن بشر)، فرأيت بوجهه ضرباً كثيراً ما عرفته إلا بعلامة في جسده⁽²⁾.

لقد استطاعت هذه الفرقة العسكرية الخاصة التي ضمت أقوى المجاهدين من الأنصار من صحبة الرسول (ﷺ) أن تشق الصفوف، وتعمل السيوف في رقاب أعداء الله، حتى زلزلت أقدام (مسيلمة) وأصحابه فلجأ إلى الحديقة التي عُرفت في التاريخ بعد ذلك باسم حديقة الموت لكثرة من قتل فيها في ذلك اليوم.

كانت حديقة الموت هذه رحبة الأرجاء، سامقة الجدران، فأغلق (مسيلمة) والألوف المؤلفة من جنده عليهم أبوابها وتحصنوا بعالي جدرانها وجعلوا يمتطرون المسلمين بنبالهم من داخلها فتتساقط عليهم تتساقط المطر.

(1) أي انفصلوا يا معشر الأنصار من بقية المقاتلين لتظهر بطولة الأنصار وتعود للجيش ثقته بنفسه.

(*) حامل سيف الرسول يوم أحد وصاحب العصبة الحمراء له قصة جميلة راجعوا كذب السيرة.

(2) أيمن قفيشة، "أكرم النساء مهراً"، 124. وابن سعد: "الطبقات الكبرى"، 441/3.

البراء بن مالك، الاستشهادي الأول في الإسلام:

بعد أن استطاعت قوات المسلمين من دفع المرتدين إلى داخل الحديقة، وقتل (البراء بن مالك) لمحكم اليمامة الذي كان بمثابة قائد جيش (مسيلمة) الكذاب، أصبحت مهمة المسلمين عسيرة في اختراق هذه الجدران الشاهقة والقضاء على معقل المرتدين الأساسي، وكان أهل الحديقة يمطرون المسلمين بالنبال وفي هذه اللحظات العصبية تقدم مغوار المسلمين الباسل والفارس الشجاع المقدام والفدائي الاستشهادي الأول (البراء بن مالك) الذي انقذت في ذهنه فكرة الاقتحام فنادى فيمن حوله يا قوم، ضعوني على ترس، وارفعوا الترس على الرماح، ثم قذفوني إلى الحديقة قريباً من بابها، فإما أن استشهد وإما أن فتح لكم الباب⁽¹⁾.

لله درك يا براء، يا من عجزت أقلام المؤرخين عن تصوير هذا المشهد البطولي الفدائي الرائع، وكيف تصل النفس البشرية إلى هذه المرحلة من التضحية والعطاء.

وأنا اكتب عن البراء الذي احببناه وعشقنا سيرته وذاكرته العطرة، نتذكر قوفاً الشهداء الشجعان الذين خضبوا بدمائهم الزكية بلاد الإسلام عامة، وأرض الرسالات خاصة، وهم يذودون عن بيضة المسلمين، أتذكر الشهداء والأمرأء الأفاذا الذين أناروا الطريق أمامنا وأمام العاشقين

(1) عبد الرحمن الباشا، "صورة من حياة الصحابة".

لفلسطين والمصري، فرحلوا بأجسادهم الطاهرة النقية إلى جوار ربهم مقبلين غير مدبرين، فعجزت تعابير الفنانين من البشر من أمثالنا عن رثاء الخالدين من أمثالهم.

ونحن نتذكر الاستشهادي الأول (البراء بن مالك) نتذكر معه قوفاً الاستشهاديات والاستشهاديين من أحرار وحرائر فلسطين الحبيبة، وهم يتمنطقون بأحزمتهم الناسفة وينطلقون مع تساييح الصباح وركعات الشهادة والبسمة الوثيقة تزين محياهم وترسم خاتمة الشهادة، فيفجرون بأجسادهم الزكية أوكار القهر ومعاقل الاحتلال، فيرتقون نحو العلا تحرسهم عين الله، وتزفهم طيور السماء إلى منتهاهم السرمدي الأخير.

كم كنا نستشرف صور الشهادة في وجوه أصحابها قبل أن ينطقوا إلى أهدافهم دون أن نعرف حقيقة عملهم، فقط هو الاحساس الذي كنا ندركه من خلال سلوكهم وحركاتهم وسكناتهم المتواضعة اللطيفة.

إن (البراء بن مالك) الذي كان أول الاستشهاديين والفدائيين ومن سار في دربه وضحوا بأنفسهم ما كانوا ليصلوا إلى هذه الشجاعة والبطولة إلا حين تفاعلت العقيدة الصحيحة الحية مع جوانب النفس وأغوارها، فأينعت في عقولهم وأفئدتهم معاني التضحية والشهادة، وأزهت في وجدانهم عشق الجنة ونعيم الآخرة على العيش في هذه الحياة الفانية.

البراء بن مالك يقتحم الحديقة:

في لمح البصر جلس (البراء بن مالك) على ترس، فقد كان ضئيل الجسم، نحيف، ورفعته عشرات الرماح فألقته في (حديقة الموت) بين الآلاف المؤلفة من جند (مسيلمة)، فنزل عليهم نزول الصاعقة وما زال يجالدهم أمام باب الحديقة، ويعمل في رقابهم السيف حتى قتل عشرة منهم وفتح الباب وبه بضع وثمانون جراحة من بين رمية بسهم أو ضربة بسيف⁽¹⁾.

وفي روية أخرى أنه حمل (البراء) حتى إذا أشرف على الحديقة من الجدار قاتلهم عند باب الحديقة حتى فتحه للمسلمين، وهم على الباب من خارج، فدخلوا: فأغلق الباب عليهم ثم رمي بالمفتاح من وراء الجدار فقتلوا قتالاً شديداً، لم يروا مثله وأبادوا من في الحديقة من المرتدين، وقتل (مسيلمة) الكذاب⁽²⁾. وقد قدر عدد الذين قتلوا في حديقة الموت قريباً من عشرين ألفاً قبل أن يصلوا إلى (مسيلمة) ويردوه صريعاً.

ومع هذه الفدائية العالية التي أبدأها (البراء) وحرصه على الشهادة إلا أنه لم يستشهد وحمل إلى رحله ليداوى فيه، وأقام عليه (خالد بن الوليد)

(1) عبد الرحمن الباشا، "صور من حياة الصحابة".

(2) ابن جرير الطبري، "تاريخ الأمم والملوك"، 295/3.

شهراً يعالجه من جراحه حتى أذن الله له بالشفاء، وكتب لجند المسلمين على يديه النصر⁽¹⁾.

ظل (البراء) بن مالك الأنصاري يتوق إلى الشهادة التي لم يحظ بها يوم (حديقة الموت)، وطفق يخوض المعارك واحدة بعد أخرى شوقاً إلى تحقيق أمنيته الكبرى، وحنيناً إلى اللاحق بنبيه الكريم (ﷺ)، ولم يشك للحظة أنه سينالها عاجلاً أم آجلاً.

يقول (أنس): دخلت على (البراء) وهو يتغنى، فقلت: قد أبدلك الله ما هو خير منه، فقال (البراء): أترهب أن أموت على فراشي؟ لا والله، ما كان الله ليحرمني ذلك، وقد قتلت مائة منفرداً سوى من شاركت فيه....⁽²⁾

ويعلم (الفاروق) حرص (البراء بن مالك) على الشهادة وشجاعته وإقدامه وفدائيته في القتال، فكتب إلى أمراء الجند يحذرهم من توليته على الجيش قائلاً: لا تستعملوا (البراء) على جيش من جيوش المسلمين فإنه مهلكة يقدم بهم⁽³⁾.

وقد كان (الفاروق) رضي الله عنه محقاً في تحذيره هذا، وهو يستشرف عظم الأمانة العظيمة، فكما أن واجب الجندي الاستعداد الدائم

(1) ابن حجر العسقلاني، "الإصابة في تميز الصحابة"، 143/1.

(2) ابن حجر العسقلاني، "الإصابة في تميز الصحابة"، 143/1.

(3) ابن الجوزي، "صفوة الصفوة"، ص 275-276.

البراء بن مالك وآل ملهه، النموذج المفقود

للتضحية بروحه ودمه رخيصاً من أجل الله، فإن الواجب أيضاً على القيادة الواعية الحكيمة أن تحرص كل الحرص على الجنود، فلا تنزف قطرة دم جندي مسلم إلا في مكانها، ولا تضحي بمجاهد إلا وفق خطة مدروسة بدقة وهدف يستحق هذه التضحية، لأن هذه الطاقات والقدرات أمانة في أعناق القائمين عليها وهي عزيزة على الله. والواجب هو حفظ هذه الأمانة، أن لا يحول استعداد الجنود للشهادة إلى تهور بغير حساب، وأيضاً أن لا يتحول حرص القيادة على جنودها إلى تردد وجبن وجمود عند المفترقات العنيفة والحاسمة وفي ميادين الجهاد والمقاومة.

معركة تستر⁽¹⁾:

لقد حانت لحظة ترحل الفارس عن صهوة جواده، واحتشد الفرس بقيادة الهرمزان في الأهواز، وجمع (عمر) الجيوش لنجدة وإمداد (النعمان بن مقرن)، وبعث مع الجيوش ثلاثة نفر (البراء بن مالك)، و(عرفجة بن هرثمة)، و(مجزأة بن ثور)، فحاصر المسلمون الفرس شهوراً، وأكثروا فيهم القتل وقتل (البراء) في ذلك الحصار مائة مبارز سوى من قتل في غير ذلك إلى الفتح⁽²⁾.

(1) تستر: أعظم مدينة بخوزستان اليوم، فتحت عام 20 هـ في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(2) ابن الأثير، "الكامل في التاريخ"، 384/2.

وزاحفهم المشركون أيام تستر ثمانين زحفاً، مرة لهم ومرة عليهم وجعل الفرس يدلون من فوق أسوار القلعة سلاسل من حديد علقت بها كلاليب من فولاذ حميت بالنار حتى غدت أشد توهجاً من الجمر، فكانت تغرز وتعلق بها فيرفعونهم إليهم إما موتى وإما على وشك الموت.

فعلق كلاب منها بـ(أنس بن مالك) شقيق روحه وأخيه الذي امتزجت أرواحهم معاً منذ الطفولة فما أن رآه الفدائي الأول (البراء) حتى وثبت على جدار الحصن، وأمسك بالسلسلة التي تحمل أخاه، وجعل يعالج الكلاب ليخرجه من جسده. فأخذت يده تحترق وتدخل، فلم يأبه لها حتى أنقذ أخاه وهبط إلى الأرض بعد أن غدت يده عظماً ليس فيها لحم.

لقد كنت كلما أكتب سطرًا أو كلمة عن هذا الحبيب استشعر عظمة هذا الفدائي المغوار، وجلادته في القتال، وعشقه للشهادة، وهنا قال المسلمون: يا (براء)! إن رسول الله (ﷺ) قال: إنك لو أقسمت على الله لأبرك*، فأنقسم على الله: فقال (البراء): اللهم اهزمهم لنا واستشهدني، فهزموهم حتى أدخلوهم خنادقهم ثم اقتحموها عليهم، ثم دخلوا مدينتهم، وأحاط بها المسلمون⁽¹⁾.

وكان (أنس) على مقدمة الناس وأميرهم (عبدالله بن قيس) "أبو موسى الأشعري"، ويصف (أنس) شدة الحصار فيقول: حضرت عند مناهضة

(*) سبق التخرج، ص16.

(1) ابن الأثير، "الكامل في التاريخ"، 384/2.

البراء به مالك وآل ملحاه، النموذج المفقود

حصن تُسْتَر عند إضاءة الفجر، واشتد اشتعال القتال، فلم يقدرُوا على الصلاة، فلم نصل إلا بعد ارتفاع النهار، فصليناها ونحن مع (أبي موسى الأشعري) ففتح لنا وما يسُرُّني بتلك الصلاة الدنيا وما منها⁽¹⁾.

البراء يقود فريق الاقتحام للمدينة المحصنة:

فبينما هم على ذلك وقد ضاقت بالفرس المدينة وطالت حربهم، اهتدى المسلمون لمدخل المدينة من قِبل مخرج الماء فدخلوها فكبروا فيها وكبر المسلمون من خارجها، وفتحت الأبواب فاجتلدوا فيها فأتأموا كلِّ مقاتل⁽²⁾. وعند ابن كثير أنَّ المسلمين اهتدوا لهذا المدخل السري عن طريق كلب دخل من هذا المدخل فلحق المسلمون به فعرفوا أنه يوصل إلى المدينة.

كان البراء جسر العبور لهذا الفتح، وقَدَّم روحه ثمناً لهذا النصر، حيث اختاره (أبا موسى الأشعري) ليقود فريق الإقتحام الذي سيجتاز المدخل السري للمدينة، وقام (البراء) رضي الله عنه، باختيار مجموعة من أبطال المسلمين وشجعانهم لهذه المهمة الخاصة، أو هذه المجموعة الاستشهادية الجديدة.

(1) البخاري، "باب الصلاة عند مزاهاة العدو"، وفتح الباري، ص 105.

(2) أيمن قفيشة، "أكرم النساء مهراً".

وتوجّه (البراء) لـ (مجزأة بن ثور) قائلاً: (انظر رجلاً من قومك جلدًا فسمّه لي)، قال: ولم؟ قال: (لحاجة) قال: فإني أنا ذلك الرجل. قال (البراء): ثُلُّنا علمنا على سرب وأردنا أن ندخله، قال فأنا معك فدخل (مجزأة) أول من دخل فلما خرج من السرب، شدّ خده بصخرة، ثمّ خرج الناس من السرب فخرج (البراء)، فقتلهم في جوف المدينة حتى قُتل رضي الله عنه _ وفتح الله على المسلمين.

ترجل الفارس الشجاع:

كما كانت فدائيته العالية سبباً مباشراً لإقتحام حديقة الموت يوم اليمامة، وانتصر المسلمون على معقل الردّة، وتطهير الجزيرة العربية من الدّجالين والكذابين، فقد كانت موقعة تستر كذلك أيضاً، فقد كان لفدائيته وشجاعته وبطولته سبباً مباشراً بعد توفيق الله في اقتحام حصون المدينة المنية، وانتصار المسلمين وأسر الهرمزان ذليلاً إلى الفاروق (عمر). وعلى أرض المعركة وفي ساحة الشرف، سقط البطل شهيداً وقد روى الأرض بدمائه الزكية، يفوح منها شذى أطيب من لمسك، ونال لمشتاق ما تمناه، وظهرت آثار السعلة على محيائه وفي وجدانه يرن صدى آيات الله تعالى: ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا كَمَا تَرْتَفَعُهُمُ اللَّهُ مِنْ رُفَا حَسَمًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّائِقِينَ﴾ [الحج: 58]

البراء بن مالك وآل ملحان، النموذج المفقود

وقد قُتل (البراء) و(مجزأة) بيد الهرمزان نفسه الذي اقتيد أخيراً نذليلاً إلى مدينة رسول الله (ﷺ)، ليمثل بين يدي (الفاروق) رضي الله عنه. لينفذ فيه حكم الله الذي يليق بمن ينقض العهد المرة تلو الأخرى، وقد قاده (أنس بن مالك) بنفسه، بعد أن ودّع الجسد لمسجى جسد (البراء) الطاهر في تُستر، في لحظة عظيمة من المشاعر الجياشة المؤثرة. ولعل (أنس) كان يسترجع في ذاكرته عقدين من سنوات الجهاد جمعت مع أخيه في غزوة بدر وأحد والخنق ومشاهد النبي (ﷺ)، وحروب الردة ومشهد عظام يديه تلوح بعد أن أنقذه في الحريق من موت محقق، وذكريات الطفولة في بيت (أم سليم) وهي تغرس فيها مفاهيم التضحية وروح الشجاعة والإقدام، وهنا كانت المفاجئة التي يقف التاريخ البشري خاشعاً متعجباً لبطلها (أنس بن مالك) الذي أثبت أن ولاءه للمنهج أعظم من كل رغبة للتأثر والانتقام لمقتل أخيه الحبيب (براء)، وأن رسالة الإسلام الذي يجب أن يتحلى بها المجاهد الداعي أعظم من نزوة شخصية هنا وهناك.

إن (أنس) في هذا المشهد الرائع أثبت أن همّ الرسالة والدعوة والفكر والمنهج تسمو على الهموم لشخصية الآتية كلها.

ما أعظمك يا أم (ملحان) وما أعظم تربيتك وما أعظم أبنائك جنود الاسلام الأوفياء.

فَفَضَّرَ اللَّهُ وَجْهَ (البراء بن مالك) فِي الْجَنَّةِ، وَقَرَّ عَيْنِيهِ بِصَحْبَةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، وَجَمَعَنَا بِهِ فِي الْجَنَّةِ لِأَنَّا نَحْبُهُ فِي اللَّهِ، وَالْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الهرمزان يصل المدينة نليلاً:

بعد انتصار المسلمون في موقعة تُسْتَر واستشهاد (البراء بن مالك) ثم اقتياد الهرمزان إلى المدينة وقد ألبسوه كسوته من الديباج والذهب وتاجه المكلل بالجواهر والياقوت، ليراه أمير المؤمنين والمسلمون، فوجدوا الفاروق (عمر) في المسجد متوسداً برنسه، وهو نائم، والدُّرَّه في يده.

فقال الهرمزان: أين (عمر)؟

قالوا: هو ذا.

فقال: أين حرسه وحجابه؟

فقالوا له: إن الأمير ليس له حاجب ولا كاتب ولا حُرَّاس فتعجب الهرمزان. وقال: فينبغي أن يكون نبياً. قالوا: يقتدي ويعمل بعمل الأنبياء. واستيقظ (عمر) بجلبة الناس، فاستوى جالساً ثم نظر إلى الهرمزان فقال: الهرمزان؟! قالوا: نعم. فنظر إليه يتأمل ما عليه وقال: أعوذ بالله من النار، واستعين بالله، الحمد لله الذي أذل بالاسلام هذا وأشباهه. وأمر بنزع ما عليه فنزعوه، وألبسوه ثوباً خفيفاً.

الباء به ماله وآل مله، النموذج المفقود

فقال له (عمر): هيه يا هرمزان! كيف رأيت عقبة الغدر، وعاقبة أمر الله؟.

فقال: يا (عمر)، إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلّى بيننا وبينكم فغلبناكم. إذ لم يكن معنا ولا معكم، فلما كان الآن معكم غلبتمونا.

فقال (عمر): إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا.

ثم قال: ما حُجَّتْك في انتفاضك مرّة بعد مرّة (أي نقضك العهد)؟.

فقال: أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك.

قال: لا تخف ذلك واستسقي ماءً، فلأني به في قدح غليظ. فقال: لو متُ

عطشاً لم أستطع أن أشرب في مثل هذا، فلأني به في إناء يرضاه، فجعلت يده ترتجف. وقال: إن أخاف أن أُقْتَل وأنا أشرب.

فقال (عمر): لا بأس عليك حتى تشربه، فأكفأه⁽¹⁾ الهرمزان.

فقال (عمر): أعيّدوا عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش.

فقال: لا حاجة لي في الماء، إنما أردت أن استأمن به.

فقال (عمر): إني قاتلك.

فقال: قد آمننتي.

فقال (عمر): كذبت.

قال (أنس): صدق يا أمير المؤمنين، قد أمّنته.

(1) أكفأ الماء: أي كبّه.

قال (عمر): ويحك يا (أنس)، أنا أو من قاتل (مجزأة بن ثور) و(البراء بن مالك)؟ والله لتأتين بمخرج أو لأعاقبك.

يقول (أنس): قلت له لا بأس عليك حتى تخبرني ولا بأس عليك حتى تشربه. قال عمر للهرمزان: خدعتني! والله لا أنخدع إلا أن تسلم، فأسلم الهرمزان⁽¹⁾.

وهكذا نرى عظمة هذه المدرسة النبوية التي تخرج منها أنس بن مالك أخ الحبيب لشهيد المغوار البراء بن مالك، فلم يمنعه قتل أخيه من أن ينصف قاتل أخيه، وهذا كله نتاج التربية الإيمانية في البيت المتميز، بيت (الرميصاء) رضوان الله عليها التي زرعت الشملل النبيلة والأخلاق الفاضلة في أبنائها منذ نعومة أظافرهم لأن الأم هي المدرسة الأولى في المجتمع والأسرة متماسكة هي لحصن للأجيال الناشئة فيبقى هذا البيت قلعة من قلاع العقيدة لسليمة.

ولابد أن تكون القلعة متماسكة من داخلها، حصينة في ذاتها كل فرد فيها يقف على ثغره لا يُنفذ إليها، وإن لم تكن كذلك سهل اقتحام المعسكر من داخل قلاعه، فلا يصعب على طارق ولا يستعصي على مهاجم. ومن هذا البيت خرج فارسنا المغوار الذي عجب لشجعان من شجاعته وإقدامه، حين غرست أمّه (الرميصاء) في جوانب شخصيته لشجاعة، وأرضعته حب لجهاد وعشق الشهادة.

(1) ابن الأثير، "الكامل في التاريخ"، ج2، 385-386.

الفصل الخامس

الجهاء في سبيل الله

فضل الجهاد في سبيل الله عز وجل:

لقد تعمءت أن أءئم هءه الءراسه بالءءءء عن فضل الجهاد في سبيل الله، وءاصة ونءن نعيش في أرض فلسطين، أرض الجهاد والرباط، أرض المءارك الفاضلة، أرض ءطين وعين جالوت، الأرض الءي ءعطر ءرابها بءماء آلاف الشهداء من الصءابة الكرام ومن لجيوش الإسلاميه على مرّ ءاريخ وكءلك ءماء آلاف الشهداء من شعب فلسطين المءاهد، ولكي يبقئ جهاءنا ءالصاً لوجه الله _عز وجل_، بعيداً عن أي سمة ورياء أو لرفع فئة أو ءزب أو ءنظيم، فأرءء أيضاً أن أقءم في نهاية هءه الءراسه بعض النصائء والتوجيهاء والرسائل القلبية لكل مءاهد يقءرش الأرض، ويلءءف السماء سائلاً المولى _عز وجل_ ءوفيق والسءاء وءسن الءاءمة.

روى البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود _ رضي الله عنه _ قال، سألت رسول الله (ﷺ): أيُّ الأعمال أفضل؟ قال الصلاة على وقتها، قلت: ثم أي؟ قال: برّ الوالدين. قلت: ثم أي؟ قال الجهاد في سبيل الله (1).

ومن هذا الحديث نستطيع أن نستشعر عظم هذه لشعيرة ومكانة هذا الواجب، فهو ذروة سنام الإسلام كما جاء في الحديث الشريف. ولم يفضل النبي شيئاً على الجهاد سوى الصلاة المكتوبة، لأنها عمود الدين، حيث روى (البيهقي) و(الدارمي) عن (أبي قتادة) رضي الله عنه قال: خطب رسول الله (ﷺ)، فذكر الجهاد، فلم يُفضّل عليه شيئاً إلا الصلاة المكتوبة (2).

وعن النعمان بن بشير _ رضي الله عنه _، قال: كنت عند منبر رسول الله (ﷺ)، فقال رجلٌ ما أبالي أن أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال الآخر لا أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، وقال آخر لا، الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم؟ فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله (ﷺ)، وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليت دخلت فاستفتيه فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ

(1) أخرجه البخاري برقم 2782، ومسلم برقم 85.

(2) ابن النحّاس، "مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق".

البراء بن مالك وآل ملهه، النمره المفقود

الْحَرَامَ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ [التوبة: 19]

ولقد كرم الله عباده المجاهدين على المؤمنين القاعدين درجة ومكنة، فقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 95]

ومن خلال هذه الآية نستطيع أن نستشعر مكانة المجاهدين أمثال (البراء بن مالك) عند الله عز وجل، وما أعده لهم من أجر عظيم ودرجات عالية في الجنة.

وفي الحديث الذي رواه (مسلم) عن (أبي سعيد الخدري) رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله فقال: أي الناس أفضلهم؟ قال: (مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله). قال: ثم من؟ قال: (رجل معتزل في شعب من الشعب يعبد ربه ويدع الناس من شره)⁽¹⁾.

ومن هنا يصبح معلوما لدينا أن الجهاد خير عند الله وأرفع درجة من العزلة والتفرغ للعبادة، وقد كان الصحابة والتابعون يدركون ذلك، فانظر إلى ابن المبارك وهو يرسل رسالة لابن عياض يقول فيها:

(1) رواه مسلم، باب فضل الجهاد والرباط، 1888.

لَعَلَّمْتَ أَنَّكَ فِي الْعِبَادَةِ تَلْعَبُ	يَا عَبْدَ الْحَرَمِينَ لَوْ أَبْصَرْتَنَا
فَذُحُورُنَا بِدُمَائِنَا تَتَخَضَّبُ	مَنْ كَانَ يَخْضِبُ خَدَّهُ بِدُمُوعِهِ
فَخَيُولْنَا يَوْمَ الصَّبِيحَةِ تَتَعَبُ	أَوْ كَانَ يَتَعَبُ خَيْلَهُ فِي بَاطِلِ
رَهَجِ السَّنَابِكِ وَالْغَبَارِ الْأَطْيَبِ	رِيحِ الْعَبِيرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَبِيرُنَا
قَوْلُ صَحِيحٍ صَادِقٍ لَا يَكْذِبُ	وَلَقَدْ أَتَانَا مِنْ مَقَالِ نَبِينَا
أَنْفِ أَمْرٍ وَدُخَانِ نَارٍ تَلْهَبُ	لَا يَسْتَوِي غَبَارُ أَهْلِ اللَّهِ فِي
لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمَيِّتٍ لَا يَكْذِبُ	هَذَا كِتَابُ اللَّهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا

وقد ذكر (محمد بن إبراهيم بن أبي سكينه): أنه كان مع (عبد الله بن المبارك) بطرطوس وكنا مرابطين في الثغور، فأردت الذهاب إلى الحج، وكان (الفضيل بن عياض) مجاوراً عند الكعبة معتكفاً في المسجد الحرام، فأرسل إليه (ابن مبارك) هذه الأبيات، قال (محمد بن إبراهيم) لما لقيت (الفضيل بن عياض) عند الكعبة ناولته رسالة (ابن المبارك)، فلما قرأها ذرفت عيناه بالدموع وقال صدق (أبو عبد الرحمن) ونصحتني.⁽¹⁾

وكذلك فإن المجاهد خير الناس وأكرمهم عند الله، ونوم المجاهد أفضل من قيام غيره الليل وصيامه النهار، وأن الطاعم المفطر في سبيل الله كالصائم في غيره. حيث روى (النسائي) و(ابن مبارك) عن (أبي هريرة) رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن مثل مجاهد في

(1) الذهبي، "سيرة أعلام النبلاء"، 413/8.

البراء به مالك وآل ملحاه، النموذج المفقود

سبيل الله - والله أعلم من يجاهد في سبيله - كمثل القائم الصائم الخاشع
الراكع الساجد).⁽¹⁾

وقد روى (أبو داود) و(البيهقي) و(الحاكم) عن أبي (أمامة الباهلي)
رضي الله عنه: أن رجلاً استأذن رسول الله (ﷺ) في السياحة، فقال:
(إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله).⁽²⁾

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ
السَّاجِدُونَ الْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ إِحْدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ
الْمُؤْمِنِينَ﴾. [التوبة: 112]

ولهذا نجد الرسول (ﷺ) يقول: (من اغبرت قدماه في سبيل الله حرّمه
الله على النار).⁽³⁾

وكذلك من المعلوم أحببتا أنه رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما
فيها، وكذلك رباط يوم وليلة خيرٌ من صيام شهر وقيامه، حيث روى
(مسلم) عن (سلمان الفارسي) رضي الله عنه - قال: قال رسول الله
(ﷺ): (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات فيه جرى

(1) ابن النحس، "مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق". وقال أن الحديث صحيح.

(2) المصدر نفسه.

(3) البخاري، 907.

عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان⁽¹⁾. والفتان هو عذاب القبر.

وقد ذكر علماء الحديث عشرات الأحاديث التي تذكر فضل المجاهدين والمرابطين، وكذلك الشهداء الأبرار الأحياء عذ ربهم يرزقون، والحديث عن الشهداء ومقامهم قد ورد في القرآن مرات عديدة، وتولت به الأحاديث النبوية، فهذا الدين لا يقوم بغير حراسه، ولا يتحقق في الأرض بغير جهاد، جهاد لتأمين العقيدة، وتأمين الدعوة وحماية أهله من الفتنة وشريعته من الفساد.

الجهاد الذي ينشر العدل والكرامة والنور، ومن ثمّ كان للشهداء في سبيل الله _ وهم وحدهم الذين يسمّون شهداء _ كان لهم مقامهم، وكان لهم قربهم من ربهم.⁽²⁾

جاء في الصحيحين أن: (أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثمّ تأوى إلى تلك القناديل، فإطلع عليهم ربهم اطلاعه، فقال ماذا تريدون فقال: نحب أن تردنا إلى الدار الدنيا، فنقتل فيك كما قتلنا أول مرة، فقال: إني قد قضيت أنهم لا يرجعون).⁽³⁾

(1) مسلم، 1913.

(2) سيد قطب، "في ظلال القرآن"، المجلد السادس، ص3490.

(3) رواه مسلم والبخاري.

الباء به ماله وآل مله، النموذج المفقود

وقد أخرج (مسلم) وغيره عن (أنس) رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): (ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة)⁽¹⁾.

ومن الكرامات التي أعدها الله للشهيد أنه يُغفر له كل ذنبه من أول قطرة دم تسقط منه، ويرى مقعده في الجنة، ويختار من الحور ما يشاء، ويتزوج العيناء المرضية وهي ملكة الحور، وهي من الجمال ما تُغبط عليه من حور العين ولحور، لا يمكن وصف جملها إلا ما ذكره الله تعالى في وصفهن، فقد قال تعالى:

﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: 23]

﴿لَمْ يَطْمِئُنْ بِسُوقِهِمْ وَقَا جَانٌ﴾ [الرحمن: 56]

﴿وَكَوَاعِبُ أَتْرَابًا﴾ [النبا: 33]

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: 49]

﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: 72]

وغيرها من الصفات التي تظهر حسن جمالهن وإتقان خلقهن، ويكفي أن الشهيد يُجمع مع الأنبياء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

(1) رواه مسلم.

أخي المجاهد الحبيب: يا من اخترت السير في طريق ذات الشوكة، أكتب لك هذه الرسائل اللطيفة والنصائح الصادقة، لأن الدرب طويل وشاق، ويحتاج إلى أصحاب الهمم العالية والعزيمة الراسخة والإرادة القوية، والعقيدة السليمة النقية الطاهرة، التي يجب أن تبقى حية في نفوس المجاهدين عبر:

[1] تربية النفس وتوجيهها نحو المثل العليا وذلك عبر معرفة أصول هذه العقيدة وأركانها فمعرفة الله من شأنه أن تربّي في النفس ملكة المراقبة الدائمة لله - سبحانه وتعالى -، وإخلاص العبودية له والتحرر بالتالي من كل ولاء لغيره، ولعلّ فتحة الكتاب التي نردها في صلواتنا كل يوم، تأكيد لهذا المعنى -إياك نعبد وإياك نستعين - فعبودية الإنسان لربه تحرره من عبوديته للعباد.

[2] ومن آثار العقيدة انها تحيي القلب وبها طمأنينة النفس وهو من أهم الآثار ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 122]

ومن خلال إحياء القلب يستطيع المجاهد المسلم الصادق أن يرضى دوماً بقضاء الله وقدره ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28]، فلا يجزع إن مسه الشر، ولا يمنع إن مسه

البراء به مالك وآل ملحاء، النموذج المفقود

الخير ولا يندم على ما فات لأنه يعلم أنه لا راد لقضاء الله وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

[3] ومن ثمار العقيدة السليمة: قوّة العزم والشجاعة والإقدام، فهي تبعث في نفس المسلم قوّة العزم والثبات، وتحرره من سيطرة الغير، لعلمه أن الله معه، ومن كان الله معه فلا يهون ولا يحزن ولا يضعف، فهذه العقيدة كغرس قناعات أكيدة في أن النافع والضار والمحيي والمميت هو الله -تعالى- فهذا كله يبعث في النفس روح الشجاعة والإقدام واستساغة الموت والرغبة في الاستشهاد طاعة لله، وانتصاراً لدينه، وإعلاء لكلمته، وتؤكد أن الأجل محدود وهو بيد الله وأن الإنسان لا يموت إلا إذا انتهى أجله وأنه لا أحد يستطيع أن يسلب منه حياته ولهذا فإن الجبن لا يطيل عمراً والشجاعة لا تقصر أجلاً.

[4] وكذلك العقيدة السليمة تبعث في النفس شعوراً متأجلاً بالعزة المستمدة من الله تعالى ﴿وَكَلِّهِ الْعِزَّةَ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. [المنافقون: 8]

وكما قال الشاعر المسلم خبيب بن عدي -رضي الله عنه- :
ولست أبلي حين قُتِلَ مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

بعد النصيحة الأولى والتي تحدثنا بها عن العقيدة السليمة يجب على المجاهد أن يتسلح بالإخلاص والصدق.

إن الصدق والإخلاص من أفضل الأخلاق في الإسلام ويجب على المسلم المجاهد أن يبقى دوماً معلقاً مع الله مخلصاً في جهاده، صادقاً في أداء رسالته، لأن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً.

فالإخلاص سرُّ التوفيق والنجاح لصاحب الرسالة والأمانة، ويجب أن لا يهدف من جهاده سوى وجه الله _ عز وجل _ ورضاه وطلباً وطمعاً لجنّته، فأنا أجاهد لأن الله أمرني بذلك، وأمرني أن أدافع عن ديني وعرضي ومقدساتي، وأن أنشر رسالة الإسلام وعلى ذلك اجتهد أن لا تتحرف البوصلة عن مسارها، وأن أجدد النية في كل عمل، فجهادي ليس لحزب أو تنظيم أو فئة، إنما لله وفي سبيل الله جهاداً تقيّاً طاهراً من أي شائبة أو منفعة فحينها فقط تكون من أهل إليك نعبد وهم من كانت صلاتهم وصيامهم وركوعهم وسجودهم وجهادهم وعطائهم من أجل الله لا يريدون من الناس جزاءً ولا شكوراً⁽¹⁾.

(1) ابن قيم الجوزية، "زاد المعاد".

البراء به مالك وآل ملهه، النمذح المفقود

وقد علق صاحب الظلال رحمه الله على تفسير آية: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَتَقَى مِنَ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَغْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَتَقَوْا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: 10]

فقال الشيخ سيد قطب: إن الذي ينفق ويقا تل والعقيدة مطاردة والأنصار قلة، وليس في الأفق ظل منفعة ولا سلطان ولا رخاء غير الذي ينفق ويقا تل والعقيدة آمنة والأنصار كثر والنصر والغلبة في الفوز قريبة المال، وذلك متعلق مباشرة بالله، متجرد تجرداً كاملاً لا شبهة فيه، عميق الثقة والطمأنينة بالله وحده، بعيد عن كل سبب ظاهر وكل واقع قريب لا يجد على الخير عوناً إلا ما يستمدّه مباشرة من عقيدته، وهذا له على الخير أنصار حتى حين تصح نيته ويتجرد تجرد الأولين⁽¹⁾.

وأنتم يا مجاهدي شعب فلسطين، يا من ترابطون وتجاهدون والأنصار قلة ولا يوجد ظلُّ منفعة ولا سلطان، حافظوا على طهارة جهادكم وصدق نولياكم واسألوا الله السداد والتوفيق.

الثقة والإعداد الذاتي:

يجب على كل مجاهد أن يثق بمنهجه وصدق رسالته، وهذه الثقة هي شعور قوي ينبعث من الذات الانسانية يدفع صاحبه إلى الإيمان بالفكرة

(1) سيد قطب، "في ظلال القرآن"، ص 3484.

بلا تردد، وإلى المضي في العمل بلا تواكل وإلى السعي إلى الهدف بلا قنوط، ومع الثقة يجب أن يكون هناك إعداداً ذاتياً لكي نصل إلى صورة المجاهد ذي الشخصية الواعية المثقفة التي قال عنها الدكتور (فتحي الشفاقي) إنها الشخصية التي تكون أول من تجاهد وآخر من تدكسر⁽¹⁾.

ونعني بالشخصية الإسلامية: التي تعتني بنفسها روحياً وجسدياً وخلقياً ونفسياً واجتماعياً وسياسياً وجهادياً ودعواً وحركياً، وهذا له أعظم الأثر في تكوين الشخصية الإسلامية المتميزة، وإعدادها لمتكامل لتكون أقدر وأقوى على مواجهة أحداث الحياة وأعباء الجهاد وعلى الصبر على ابتلائها وعلى متابعة المسيرة حتى يقبل هدفها.

فتمتية العقل وتنقيف النفس وتربية الجسد يجب أن يتوازي مع تربية الروح، وذلك من خلال المحافظة على أداء الفرائض والعبادات في وقتها وكذلك الإستزادة من النوافل التي تزكي النفس كصيام التطوع وقيام الليل والتسبيح والدعاء والتواضع وحسن الأخلاق وقراءة القرآن.

لأن المجاهد صاحب العقيدة السليمة والقلب المخلص الصادق والروح السامية وإضافة إلى الجسد القوي والعقل المستقيم يكون أقدر على الثبات والصبر في طريق المقاومة والجهاد، وأقدر على مواجهة الظروف الطارئة والمصاعب الشائكة.

(1) في إحدى رسائله للسجون وكذلك الأعمال الكاملة، "النم الذي هزم السيف"، رفعت سيد أحمد.

أخي المجاهد الحبيب: اعلم أنك على ثغر من ثُغور الإسلام فلا يؤتَيْن الإسلام من قبلك، واعلم أنك تحمل أمانة الرسالة فكن على قدرها، واعلم أنك غالي على الله وعلى أمتك وعلى شعبك واحترس واتبع القواعد الأمنية الشرعية كاملة، واتقن التخطيط الدقيق، واعلم أنك إذا كنت في موقع مسؤولية فيجب أن تكون قدوة لإخوانك وأميرًا عليهم أن تكون أكثر قدرة على التميّز، وتكون نافذ البصر، قوي الفراسة، شديد الحذر، شجاع مقدام، تقي ورع صادق، كثير العبادة وقراءة القرآن وعليك أن تكثر من سرد قصص الصحابة والحديث عن فضائل الجهاد على إخوانك وكذلك قراءة الكتب التي تتحدث عن الغزوات والفتوحات وحيل المقاتلين ومنازلات الأبطال وقصص الشهداء والاستشهاديين.

أخي الحبيب: الرسول (ﷺ) يقول: (استعينوا على قضاء حوائجكم بالسر والكتمان)⁽¹⁾ وهذه قاعدة ذهبية للمجاهدين، وتستطيع أن تدركها وتفهمها إذا درست سيرة النبي الحبيب _عليه الصلاة والسلام_، حيث أن المصطفى كان في غزواته يتبع كل الخطوات الأمنية، من إرسال العيون، وتغيير وجهة الجيش وكتمان أمر تحركه حتى على أفراد جيشه، إبقاء

(1) ابن حجر العسقلاني، "فتح الباري بشرح صحيح البخاري"، ج12، ص161.

عدد من المجاهدين وراء الجيش لمسح أثره وحمايته من الرصد والعيون،
فالحرب خدعة.

روى مسلم والبخاري عن أبي هريرة وجابر رضي الله عنهما، قالوا:
قال رسول الله (ﷺ): (الحرب خدعة) ⁽¹⁾ فلا يجب أن تعطي العدو هدية
مجانية بغير قصد منك، يحقق من خلاله إنجازاً عليك ووصية أخيرة لكل
مجاهد: إياك أن تجعل معك أو بينكم المخذل وهو الذي يخوف الناس،
كأن يقول عدونا كثير وعتادنا قليل وكذلك المرجف وهو قريب من
المخذل وهو الذي يثير الإشاعات والأراجيف، وكذلك صاحب القلب
الجبان، وإياك والشخص الذي لا يلتزم أو يطيع لأن ضرره كبير.. وإياك
والنزاع الذي يؤدي إلى الفشل والوهن.

أخي الحبيب: كن دوماً مع الحق وأهله ولو كان هذا الحق ضعيفاً أو
قليلاً، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾

[المائدة: 100]، فلا تغترّ بالمظاهر والقشور وتترك اللب والجذور. وقال

أيضاً: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: 103]

فـ(البراء بن مالك) كان نحيل الجسد إذا نظرت إليه حسبته أشعث
أغبر.

(1) البخاري في الجهاد 24/4. ومسلم في الجهاد 1361/3.

البراء به مالك وآل ملهه، النموذج المفقود

وانظر إلى سيد الحكماء وإمام البلغاء، الإمام (علي) رضي الله عنه _ حين قال: (لا يُعرف الحق بالرجال ولكن اعرف الحق تعرف أهله).⁽¹⁾

أخي المجاهد الحبيب: أريدك صاحب فكر مستتير عميق راسخ متين تستطيع أن تُميِّز بين الغث والسمين وبين الحسن والأحسن، تستطيع أن تستقرأ الحقيقة وتظهرها رغم الضباب الكثيف والغيوم السوداء والأفكار المتلاحقة المستوردة والمصطنعة.

يجب أن تكون الدليل حين تفقد البوصلة وتكون صاحب الفكر الأصيل حين تنتشر الأفكار الضالة، يجب أن تكون كالشامة في عيون الأمم كلها..

احمل هم الإسلام ولا غير الإسلام لا تنتصر لحزب أو فئة أو تنظيم على حساب الإسلام ورسالة الإسلام وأمانة الدعوة.

(1) زيد بن علي الوزير، "الفردية".

الخاتمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى..
هذه الدراسة المتواضعة، حاولت فيها أن أبرز دور الصحابي الجليل
(البراء بن مالك) الذي ساهم من خلال جهاده في سبيل الله بتحويل معارك
كبيرة من هزيمة إلى انتصار رغم جسده النحيل ورغم أنه أشعث أغبر لا
يؤبه إليه، لأقول إن الناس ليسوا بمظهرهم ولا بأجسادهم أو أنسابهم، إنما
بما يقدمونه لأمتهم ورسالتهم وفكرتهم، وكذلك إلى دور البيت المتماسك
الذي أسس بنيانه على تقوى من الله فكانت قاعدة راسخة متينة، لأقول ما
أحوجنا ونحن نعيش في هذا الزمن المتقلب المخادع من العودة إلى منهج
الله ومنهج رسول الله وإلى سيرة الصدر الأول الذين حملوا الأمانة وأدوا
الرسالة.. ما أحوجنا لهذا التاريخ المضيء ونحن نبحث عن الملهم
والقدوة، ونحن نتخبط في تقليد هذا وتباع ذاك من إمعات هذا العصر
وفساقه.

إن الحديث عن صحابة رسول الله له عبق خاص يفوح من خلاله عبير
العزة والكرامة والأمانة والشهامة والشجاعة حين كانت تراقب الله في
حركاتها وتصرفاتها وسلوكها.

وفي النهاية أقول لشباب الأمة الصادق: إن (البراء بن مالك) و(خالد بن الوليد) و(سمّك بن خرشة) و(المقداد) و(القعقاع) وكل صحابة رسول الله (ﷺ) أمة صنعها كتاب الله وسنة نبيه، وكتاب الله وسنة نبيه ما زالوا بين أظهرنا، وقادran على إعادة صياغة التاريخ من جديد، وقادran على إعادة الأمة إلى مكانتها، الأمة الشاهدة الشاهدة.

كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتجاهدون في سبيل الله.. وأسأل الله أن يُعيد لهذه الأمة مكانتها وأن يعيد للإسلام عزته ورسالته.

والله من وراء القصد،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ودعواتكم لكاتبه (أبي البراء) بالفرج والتوفيق.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. صحيح البخاري.
3. مختصر صحيح مسلم.
4. مسند أحمد.
5. مختصر صحيح البخاري، التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح.
6. الحافظ بن حجر العسقلاني، "فتح الباري في شرح صحيح البخاري".
7. الفتح الرباني.
8. سيد قطب، "في ظلال القرآن".
9. ابن كثير، "البداية والنهاية".
10. ابن الأثير، "الكامل في التاريخ".
11. الذهبي، "سيرة أعلام النبلاء".
12. الحافظ بن حجر العسقلاني، "الإصابة في تميز الصحابة".
13. خالد خالد، "رجال حول الرسول".

14. سعد أبو عزيز، "رجال ونساء حول الرسول".
15. سيد العفاني، قرسان النهار من الصحابة الأخير".
16. محمد الكاندهلوي، "حياة الصحابة".
17. أيمن قفيشة، "أكرم النساء مهراً".
18. ابن الجوزي، "صفوة الصفوة".
19. عبد الرحمن الباشا، "صور من حياة الصحابة".
20. ابن جرير الطبري، "تاريخ الأمم والملوك".
21. ابن النحاس، "مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق".
22. ابن قيم الجوزية، "زاد المعاد".
23. ابن الجوزي، "التبصرة".
24. ابن قيم الجوزية، "إغاثة اللهفان".
25. زيد بن علي الوزير، "الفردية".
26. نزار أباظة، "أطفال مع الرسول".
27. ابن قيم الجوزية، "عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين".
28. أبو حسن الندوي، "ماذا خسر العالم بالتحطاط المسلمين".
29. محمد البوطي، "من الفكر والقلب".
30. محمد الغزالي، "الدعوة الإسلامية".
31. هبة رعوف عزت، المرأة والعمل السياسي - رؤية اسلامية.

البراء بن مالك وآل ملحان، النموذج المفقود

فهرس

الصفحة	الموضوع
5	إهداء
7	كلمة شكر
9	مقدمة
15	تمهيد: فضل جيل الصحابة
الفصل الأول: البراء بن مالك	
21	البراء بن مالك، النموذج المفقود
24	جوانب الشجاعة والبطولة في شخصية البراء
27	نشأة البراء بن مالك
الفصل الثاني: دور البيت المسلم في صناعة الرجال	
33	دور البيت المسلم في النشأة والإعداد
الفصل الثالث: عائلة البراء بن مالك	
39	الرميصاء، أكرم النساء مهراً
40	زواجها من أبي طلحة الأنصاري

الصفحة	الموضوع
42	مشاهد رائعة لهذه الأم المتميزة
42	لا تخبرنّ أحداً بسرّ رسول الله
43	الرميصاء الزوجة النموذج في صبرها
47	مشاهد من جهاد أم سليم
49	أنس بن مالك الأنصاري، شقيق البطل البراء بن مالك
54	أبو طلحة الأنصاري، صوته في الجيش خير من ألف رجل
61	أم حرام بنت ملحان، الأنصارية الشهيدة
64	جهاد أم حرام وزولجها عبادة بن الصامت
65	استشهادها قرب قبرص في البحر
66	أنس بن النضر عم البراء بن مالك، صدق الله فصدقه
69	نماذج من رجال صدقوا الله ما عاهدوا الله عليه
الفصل الرابع: البراء بن مالك	
73	البراء بن مالك، قصة جهاد
75	صور مشرفة من موقعة اليمامة
76	البراء بن مالك أسطورة اليمامة
79	البراء بن مالك - الاستشهادي الأول في الإسلام

البراء بن مالك وآل ملهه، النموذج المفقود

الصفحة	الموضوع
81	البراء بن مالك يقتحم الحديقة
83	معركة تُستر
85	البراء يقود فريق الاقتحام للمدينة المحصنة
86	ترجل الفارس الشجاع
88	الهرمزان يصل المدينة ذليلاً
الفصل الخامس: الجهاد في سبيل الله	
91	فضل الجهاد في سبيل الله
98	رسائل ونصائح لكل مجاهد
103	همسات من القلب إلى القلب
107	الخاتمة
109	المصادر والمراجع



« تعريف بالكاتب الأسير »

الشهادات التعليمية:

- طالب كلية التربية - جامعة النجاح الوطنية.
- طالب كلية الشريعة - الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية.
- طالب كلية تاريخ - جامعة الأقصى.
- طالب كلية دراسات شرق أوسطية - الجامعة العبرية.

المؤلفات:

- له مجموعة من المؤلفات، أهمها:
- نافذة على حياة الأسرى الثقافية.
- ذاكرة الأسر.
- اعرف عدوك.
- سرايا القدس، سجل المجد المشرق.

• الاسم: علي رفيق محمد شواهنة.

• تاريخ الميلاد: 1980/04/06.

• الحالة الاجتماعية: أعزب.

• مكان الإقامة: قلقيلية - كفر ثلث.

• مرات الاعتقال: مرة واحدة.

• تاريخ الاعتقال الأخير: 2002/04/07.

• الحكم: أربعة عشر عاما وستة شهور.

« في هذا الكتاب »

إن الحديث عن صحابة رسول الله له عبق خاص، يفوح من خلاله عبر العزة والكرامة والأمانة والشهامة والشجاعة حين كانت تراقب الله في حركاتها وتصرفاتها وسلوكها.

في هذه الدراسة المتواضعة يحاول الأخ المجاهد الأسير إبراز دور الصحابي الجليل (البراء بن مالك)، الذي ساهم من خلال جهاده في سبيل الله بتحويل معارك كبيرة من هزيمة إلى انتصار، رغم جسده النحيل ورغم أنه أشعث أغبر لا يؤبه إليه، ليقول أن الناس ليسوا بمظهرهم ولا بأجسادهم أو أنسابهم، إنما بما يقدمونه لأمتهم ورسالتهم وفكرتهم.

وفي هذا الكتاب يتطرق الأخ الأسير إلى دور البيت المتماسك الذي أسس بنيانه على تقوى من الله فكانت قاعدة راسخة متينة، ليقول ما أحوجنا ونحن نعيش في هذا الزمن المتقلب المخادع من العودة إلى منهج الله ومنهج رسول الله وإلى سيرة الصدر الأول الذين حملوا الأمانة وأدوا الرسالة.

هذه الدراسة دعوة لشباب الأمة لكي يحسنوا الاقتداء وينهلوا من معين سيرة خير البشرية على الإطلاق. فلن يعود لهذه الأمة مجدها ووحدةها إلا إذا عادوا إلى إسلامهم ومصدر عزتهم، فحينها سوف يفهمون كيف استطاع المسلمون قهر فارس والروم في سنوات معدودة، وهزموا أعظم إمبراطوريتين في ذلك العصر، ونشروا العدل والأمن والأمان في كل أرض وطأتها أقدامهم.